
عرفات بعد رحيله
فيصل حوراني

ياسر عرفات بعد رحيله

ندوة



شارك في الندوة السادة:

بسام الصالحي: عضو الأمانة العامة لحزب الشعب الفلسطيني، عضو المجلس التشريعي.

حاتم قفيشة: عضو المجلس التشريعي من قائمة التغيير والإصلاح أو قائمة "حماس".

صالح رأفت: الأمين العام للاتحاد الديمقراطي الفلسطيني "فدا".

عبد الرحيم ملوح: نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عضو لجنة م.ت.ف. التنفيذية.

قيس عبد الكريم: عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، عضو المجلس التشريعي.

اللواء نصر يوسف: عضو لجنة "فتح" المركزية.

أدار الندوة وحررها: فيصل حوراني، كاتب.

عرفات بعد رحيله

هذه الندوة عقدت في رام الله لتنشر مع حلول الذكرى الثالثة والأربعين لانطلاقة الثورة الفلسطينية. غير أن أسباباً فنية طارئة أخرت إعدادها للنشر لبعض الوقت. وبمشاركة هذا العدد من قادة فصائل م.ت.ف. وحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، حرصنا على أن يدير الندوة شخص مستقل.

حوراني: محمد عبد الرؤوف القدوة الفلسطيني المولود في العام 1929 هو من اشتهر منذ انهمك في العمل العام باسم ياسر عرفات وعاش حياة مديدة أغناها بالطول والعرض. ومنذ يفاعته، برز المسكون بالهم الوطني قائدا في الحركة الطالبية الفلسطينية التي أسهم هو في تأسيسها، وتطوع للجهاد في فلسطين في العام 1948 ضد التوسع الصهيوني فيها، كما تطوع في المقاومة المصرية للاحتلال البريطاني لقناة السويس. ثم كان له دور بارز في تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" وإطلاق المقاومة المسلحة ضد إسرائيل في العام 1965. وأكمل المسيرة التي نعرفها، رئيسا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائدا عاما لقوات الثورة الفلسطينية منذ 1969، ثم رئيسا للسلطة الفلسطينية التي نشأت في الأرض المحتلة منذ العام 1994. استعير تعبيرا لطه حسين وأقول إن ياسر عرفات كان طُلَعَةً من أول أمره، ثم لم يلبث أن ملأ حضوره الدنيا وشغل الناس، يستوي في هذا أن يكون المنشغلون به من مؤيديه أو من معارضيه أو من الذين بين بين. ولقد تحققت للرجل مكانة في الحياة الفلسطينية العامة لم تتوفر لسواه قبله ومن المشكوك فيه أن يبلغها أحد بعده. الموضوع الأول الذي أطرحه عليكم للنقاش هو هذا: كيف تحققت لياسر عرفات هذه المكانة؟

الصالحي: أعتقد أن الأساس الذي ميز عرفات مرتبط بالفترة التي نشأ فيها وما شهدته القضية الفلسطينية في هذه الفترة، مقدمات النكبة، والنكبة ذاتها، التشتت، والمعاناة القاسية والمتصلة، واندياحات النكبة الأخرى على الصُّعُد

كلها، الفلسطيني والعربي والدولي. لقد انهار كيان الشعب الفلسطيني، وغابت فرصة قيام دولة لهذا الشعب، وأبعدت جماهيره عن أرضها أو حيل بينها وبين ممارسة السيادة عليها. هذا كله عمق الإحساس بمأساة هذا الشعب وأنشأ حالة تعاطف واسعة معه، عربية ودولية. وكان من شأن هذا الوضع أن أذن بظهور من يتطلع إلى لملمة الأشتات وإبراز قضية الشعب الفلسطيني وزخمها وحيويتها. من هنا، بسبب الأهمية البارزة للقضية الفلسطينية ومع عمق التطلع إلى من يستطيع حمل مسؤولياتها وإبرازها أمام شعبها ذاته، وأمام العالم العربي، جاءت المكانة الخاصة التي تمتع عرفات بها. إنها المكانة الخاصة للشعب الفلسطيني وقضيته وظرفه التاريخي، وهي التي أبرزت عرفات منذ بدايته، لأنه لعب منذ هذه البداية دوراً متميزاً ومثابراً في مواجهة المأساة، في العمل لإعادة إحياء الهوية الفلسطينية ووصل أشتات الشعب بعضها ببعض. الأساس كامن، إذاً، في عمق المأساة وقوة حاجة الشعب إلى إعادة تجميع ما فرقته النكبة. ولأن عرفات وضع نفسه في صلب هذه العملية وثبت فيها، فقد تميز دوره، وتحققت المكانة التي صارت له.

قفيشة: في البداية، أقول إني أتشرف بأن أتحدث عن رجل عظيم كسب قلوب خصومه قبل قلوب محبيه. إنه شرف شخصي لي أن أتحدث عن هذا الرجل العظيم. وبين الحاضرين، قد أكون أقلهم في عدد المرات التي التقيت فيها عرفات، فعدد لقاءاتي به لم يزد على عشرة أو خمسة عشر، وهذه جميعها جرت هنا في فلسطين بعد أن عاد إليها، وليس قبل ذلك. عندما نتحدث عن عرفات فنحن نتحدث عن مهابة حقيقية، كبيرة جدا، فرضت وجودها على الساحة العالمية وهو حي، واستمرت بعد رحيله. وأن يشغل الرئيس الشهيد أبو عمار الناس ويملأ الدنيا فهذا شيء طبيعي، خصوصا أنه كان يمثل فلسطين التي تحتوي المسجد الأقصى والقدس والتي هي مهبط أفئدة العرب والمسلمين. وياسر عرفات الذي كان يمثل الشعب الفلسطيني أفضل تمثيل، الشعب الذي يتعرض للظلم، كان يسعى لدفع الظلم عن شعبه، فكان يكسب تعاطف العالم أجمع، وليس العرب والمسلمين وحدهم. وكانت كوفية عرفات تشكل كلما

ظهرت في عواصم العالم رمزا وتثير عاطفة خاصة، إضافة إلى الكاريزما الشخصية التي تمتع بها. كان أبو عمار يمثل المظلومين والمقهورين الذين يعانون من الاستبداد، ويرمز إلى عزمهم على المقاومة.

حوراني: نحن، إذاً، أمام رأيين ينسبان، كلاهما، مكانة عرفات إلى طبيعة الحالة الفلسطينية من جهة وإلى كفاءته ومؤهلاته الشخصية من جهة أخرى. واحد من الرأيين يقدم عاملا على الآخر، والرأي الثاني يعكس الترتيب.

رأفت: أنا مع الرأيين، بمعنى أن تأثير العاملين المشار إليهما قد امتزج. فقضية الشعب الفلسطيني تمثلت بياسر عرفات بما هو مُطلِق الثورة الفلسطينية المعاصرة في العام 1965 والعامل المثابر على أن يُمسك شعب فلسطين بزمام قضيته الوطنية. وقد تكرست مكانة عرفات في العام 1969 عندما انتخب المجلس الوطني الفلسطيني الذي تشكلت أغلبيته من ممثلي الفصائل المسلحة لجنة تنفيذية جديدة، النفوذ الكامل فيها لحملة البنادق، وصار هو رئيسا لهذه اللجنة، وتمت استعادة إمساك ممثلي الشعب الفلسطيني بزمام القضية. ثمة أيضا طبيعة شخصية عرفات الشعبية، القائد الشعبي والميداني، وليس السياسي فقط. وثمة جرأة عرفات في المواجهة الميدانية، وفي المواقف السياسية، في المعارك التي خاضها شعبه للمحافظة على استقلالية منظمة التحرير الفلسطينية وإبعاد الوصاية العربية عنها، في معارك فرض قضية الشعب الفلسطيني على الساحة الدولية بما هو شعب ينشد التحرر من الاحتلال الإسرائيلي ويتطلع إلى التمتع بالاستقلال في دولة تخصه.

حوراني: إذاً، أضاف الأخ صالح رأفت عاملاً جديداً هو نهج عرفات ودور هذا النهج في تعزيز مكانته. سأضع السؤال ذاته في صيغة أخرى وأوجهه للأخ عبد الرحيم ملوح: لو تعلق الأمر بشخص غير عرفات، فهل كان من الممكن أن تتحقق لهذا الشخص المكانة ذاتها في السياق الذي نتحدث عنه؟

ملوح: من الصعب الإجابة على سؤال افتراضي حول شخص معين في قضية

محددة. المركز القيادي ذاته يفتح أفقا لشاغله. ما يصنعه شخص في الصف الأول هو غير ما يصنعه شخص في الصف الثاني. أعتقد أن طبيعة القضية وطبيعة عرفات تظهران معا كيف احتل الرجل هذه المكانة. للقضية طبيعة تحررية حملت بعداً عربياً وبعداً دولياً. ولشخصية عرفات طبيعة جعلته حريصا على التواجد في معارك الشعب الفلسطيني الميدانية والسياسية كلها. ولو استعدنا مسيرة عرفات، فسنجد أنه حضر في كل معركة منذ العام 1948. وحتى بعد أن شغل الرجل مناصب القمة، فقد بقي حريصا على التواجد في قلب كل معركة وكل محفل وكل قرار. وقد ثابر على السعي لإنشاء التحالفات وكسب الأصدقاء للقضية الفلسطينية، ومد حضوره على مدى القارات الخمس، الحضور الشخصي في أحيان كثيرة، والحضور السياسي والإعلامي في كل حين. لنستحضر دور الفرد في التاريخ، في القضية الوطنية. فعرفات الذي يحلو لي أن أصفه بالهارب إلى الأمام كان يشغل نقطة متقدمة في مسار معالجة كل مشكلة. هذا، بغض النظر عما إذا كنا نتفق أو نختلف مع مواقفه وسياساته. حين نتحدث عن عرفات فإننا نتحدث عن التلازم بين القضية الوطنية بتكوينها وطبيعتها وبين دور الفرد. إنه عرفات الحاضر في المعارك كلها، إطلاق الرصاصة الأولى، دخول الأرض المحتلة إثر هزيمة 1967، صدامات أيلول/ سبتمبر 1970، الجبهة الثالثة الفلسطينية في حرب 1973، حرب 1982 وحصار بيروت، حصار طرابلس، العودة إلى الوطن وقيادة العملية السياسية، هذه مجرد أمثلة تشير إلى دوام وجوده الشخصي وسعة دوره وتأثيره في القضية الوطنية. وبالعودة إلى السؤال المطروح علي، أقول: بدون هذا الدور الشخصي، لم يكن لمواهب عرفات وإمكاناته الفردية أن تظهر في الشكل الذي ظهرت به.

عبد الكريم: هناك ثلاثة أسباب مكَنت ياسر عرفات من شغل مكانته في التاريخ الفلسطيني والعربي والدولي. أول الأسباب أن نهج عرفات وبرامجه انسجمت في الواقع مع حاجات تطور القضية الوطنية. ففي أواخر خمسينات القرن المنصرم وأوائل ستيناته، برزت الحاجة إلى إحياء الشخصية الوطنية

الفلسطينية المستقلة بعد سنوات من دمجها أو تذويبها في إطار الحركة العربية القومية التي كانت آنذاك ناشطة. هذه الحاجة وجدت ما يلبيها في الموقف الذي اتخذته قيادة "فتح" وفي مقدمتها ياسر عرفات. ثم ازداد التداخل بين الذاتي والموضوعي وتعمق حين برزت الحاجة إلى المقاومة المسلحة وشرعت "فتح" في ممارستها وتحولت منذ العام 1967 إلى ظاهرة جماهيرية جارفة. السبب الثاني أن القضية الفلسطينية استعادت في أواخر الستينات مكانتها بوصفها العامل الرئيسي في الصراع العربي الإسرائيلي، هي التي لم تعتبر لب هذا الصراع قبل ذلك. وبهذه الاستعادة، احتلت القضية الفلسطينية مكانة دولية مرموقة. السبب الأخير تمثل في السمات الذاتية التي تحلى ياسر عرفات بها، خصوصا انهماكه المباشر في النضال والعمل الميداني. هذا كله وفر للرجل بين رفاقه وعلى الصعيدين العربي والدولي المكانة التي استحقها.

حوراني: عملت، يا أخ نصر يوسف، بإمرة عرفات، تم زاملته في قيادة "فتح" الفصيل الذي تصدر قيادة الساحة لعقود، فما رأيك في شخصه؟

يوسف: ياسر عرفات كان صاحب مبادرة، وكان لماحاً، واتصف بالشجاعة. فهناك جملة إرهاصات أسهمت في صنع شخصيته. فجرح فلسطين العربي والإسلامي جرح عميق ترك آثاراً كبيرة في المنطقة. وقد نشأ عرفات في فترة كان للمد القومي بعد كبير فيها، وشهد حرب السويس ونتائجها وصعود شخصية جمال عبد الناصر. في هذه الفترة، بدأ تكوُّن ملامح الشخصية الفلسطينية وأنشئت منظمة التحرير الفلسطينية. وهي الفترة التي شهدت انتعاش حركات التحرر الوطني وبروز الثورة الفيتنامية. هذا كله كان له تأثير مهم في ما تمتع به عرفات من صفات المبادرة الشجاعة، تماماً كما كان للحاجة الفلسطينية والعربية والإسلامية إلى رد الاعتبار في الجرح الفلسطيني تأثيرها. وفي تقديري أن شخصية عرفات اتسمت بمميزات لم تتوفر لسواه. وبالرغم من أن لكل شخصية خصائصها وبإمكان كل شخص أن يستفيد من العوامل

المؤثرة، فقد امتزجت في شخصية عرفات التأثيرات المكتسبة من ظروف نشأته مع موهبته القيادية وإصراره منذ كان طالباً على أن يصير قائدا، هو المتمتع بشخصية ثورية قيادية. سمات هذا الرجل، والظروف الإقليمية والعالمية، وانقسام العالم إلى معسكرين، عوامل أبرزت بداية جديدة للخط الكفاحي في المنطقة وأهلت عرفات بما تركته من آثار على شخصيته ليكون قائدا في هذه المرحلة. جهات كثيرة حاولت أن تستفيد من المرحلة، تنظيم أبطال العودة، حركة القوميين العرب، البعثيون، وسواهم. لكن، لم توجد في هذه الأطراف شخصيات قيادية قادرة على إعطاء البعد ذاته الذي أعطاه ياسر عرفات للكفاح المسلح الفلسطيني. كان ما يريده هذا الرجل قد تبلور في ذهنه، بغض النظر عن أنه ابتدأ من الصفر وأن هناك شعبا ممزقا وأمة مهزومة. اتضحت هذه الحقيقة، هذا التميز، في الشعار وفي البناء التنظيمي كليهما. وعرفات هو الذي دعا إلى أن يتفق الفلسطينيون جميعهم على ممارسة الكفاح الثوري المسلح بغض النظر عن اختلافاتهم الفكرية أو السياسية، وعما إذا كانت توجهاتهم قومية أو دينية أو أممية. هذا كان له دور كبير في تكوين مكانته.

حوراني: في ختام هذه النقطة المتعلقة بمكانة عرفات، أريد إضافة شيء. فالدراسة المعمقة لشخصية هذا الإنسان تظهر انه تميز بالقدرة على استكناه أعمق ما في المزاج العام وعلى تمثله. وقد بدا لي أن الثورة الفلسطينية التي كان عرفات هو قائدها العام هي ثورة لاجئين، حين تستخدم صفة لاجئ بمدلولها العلمي وليس القانوني وحده، أي حين تعني الافتقار إلى وطن وسيادة وسوق وعلاقات إنتاج خاصة.. إلخ. ياسر عرفات، وهو اللاجئ الأقدم، هو أقدر من تمثل مزاج اللاجئين، خصوصا حاجتهم إلى الإحساس بالكرامة. وقد كانت لدى هذا الإنسان قدرة لم تتوفر لقادة سواه على استشراف ما سيؤول إليه هذا المزاج حين يتخذ هو مبادرة تصدم القناعات السائدة. لنتذكر من سلسلة مبادراته: المبادرة إلى ممارسة الكفاح المسلح حتى بدون عدة كافية، حمل "فتح" على تصدر قيادة م.ت.ف. بعد طول ممانعة، التحول نحو الواقعية السياسية في إبان استشراء الرفض، الإنهماك في مجهودات التسوية حين بدت

الظروف غير مسعفة. والسؤال الآن، السؤال الذي ينقلنا إلى نقطة جديدة: كيف تسنى لعرفات أن يجتذب غالبية "فتح" ثم غالبية فصائل الكفاح المسلح إلى خط الواقعية السياسية؟

الصالحي: هذا الخط كان موجودا على الصعيد السياسي قبل عرفات. وعرفات هو الذي جعل هذا الخط معتمدا في الحياة السياسية الفلسطينية العامة وأعطاه قيمته وزخمه. عرفات هو الذي جعل الرؤية الواقعية معتمدة وقادرة على التفاعل مع الأهداف، هو الذي جعل لهذا الخط مردودا عمليا. ثلاثة أمور ساعدت على ذلك:

1) التجربة الفلسطينية. فالتحول نحو الواقعية جاء بعد سلسلة من المحاولات التي وظفت فيها الإمكانات الفلسطينية لتحقيق الأهداف المطلقة والطموحات التي بُنيت في ظل رفض التسوية. وقد أظهرت التجربة تعذر تحقيق هذه الأهداف والطموحات. وهكذا، عدلت التجربة السياسة والنهج وجعلتهما أكثر واقعية.

2) خبرته السياسية التي أضيفت إلى النهج الثوري الذي امتلكه عرفات، وتعامله السياسي الواسع والمتنوع والمثابر على الصعد الفلسطينية والعربية والدولية، هذان العاملان أظهرا له الترابط بين حل القضية الوطنية الفلسطينية وبين المعطيات الإقليمية والعربية والدولية. وهكذا، اقتربت الرؤية الفلسطينية أولاً بأول باتجاه فهم متطلبات الشرعية الدولية والاعتبارات العربية والإقليمية ذات العلاقة.

3) تجربة اللجوء ومعاناة عرفات حالة اللجوء المستمرة وإدراكه حاجة اللاجئ إلى الاستقرار في وطنه. إنه امتزاج التجربة الشخصية بالهم العام.

حوراني: السؤال ذاته للأخ حاتم قفيشة، في رؤيتك الإسلامية السياسية، كيف تمكن عرفات من اجتذاب الأغلبية الفلسطينية إلى خط التسوية، بصرف النظر عن جدل الخطأ والصواب في ما فعله؟

قفيشة: الحديث حول نقطة هي موضوع خلاف دون التطرق إلى هذا الخلاف فيه نوع من الصعوبة. لن أبرر ما فعله الشهيد ياسر عرفات في هذا المجال. لكن، ما دام الحديث يدور حول مقدرته على تحويل الأغلبية إلى خط الواقعية السياسية، سأتحدث عن هذه المقدرة. لقد تمكن من هذا بسبب معرفته وإدراكه الجيد المتغيرات السياسية العربية والإسلامية والعالمية التي كانت تدفع باتجاه التسوية. وهو ما أحدث تغيرا في العقلية، وجعل عرفات يضغط لإحداث التحول من أجل اختصار المسافات والزمن وفق رؤيته. وبالرغم من اختلافي مع هذه الرؤية، فإني أقول إن أبا عمار استخدم أسلوباً رياضياً هو أسلوب "السهل الممتنع"، فكان سهلا في طريق المسيرة وممتنعا عند حد المبادئ.

حوراني: تصدرت الجبهة الشعبية على مدى عقود فصائل م.ت.ف. التي عارضت هذا الخط. كيف يفسر الأخ عبد الرحيم ملوح قدرة عرفات على اجتذاب الآخرين، حتى أن الجبهة الشعبية ذاتها اتجهت في نهاية المطاف نحو الواقعية السياسية وقبلت الشرعية الدولية مرجعا لحل القضية الفلسطينية؟

ملوح: لعب العامل الموضوعي دورا أساسيا في إيضاح هذا الأمر إلى أن وصل مجمل الحركة الوطنية الفلسطينية إلى جانب ياسر عرفات. هذا العامل تجسد في عدد من الظواهر المؤثرة، أهمها الواقع العربي المحيط. فالحركة الوطنية الفلسطينية دخلت في معارك مع المحيط العربي دفاعا عن ذاتها واستقلالها. وقد تواترت هذه المعارك عبر حقب متعاقبة. عرفات تمتع بقدرة متميزة على توظيف نتائج هذه المعارك لخدمة خطة داخل السياسة الفلسطينية. شيء آخر ساعد عرفات في هذا المجال، مركز "فتح"، قوتها وسعة تأثيرها. كانت "فتح" هي القوة الأساسية في الساحة. ومن موقعه في قيادة "فتح"، ظل عرفات قادرا على التأثير في القرار الفلسطيني كله. وما أكثر ما اشتكى بعضهم وهو يرى كيف كان عرفات يوظف "فتح" للتأثير على م.ت.ف. ويوظف م.ت.ف. للتأثير على "فتح"، ويعزز خطه ونهجه في الحالتين! شيء ثالث تمثل في

الوضع الدولي. فغالبية الدول والهيئات والكتل الدولية المتعاطفة مع الشعب الفلسطيني والمؤيدة لحقوقه ومطالبه المشروعة أرادت أن تنتهج الحركة الوطنية الفلسطينية سياسة واقعية قوامها القبول بتسوية سياسية مع إسرائيل في هدي قرارات الأمم المتحدة. الرئيس جمال عبد الناصر ذاته، وهو من كان أوسع الحكام العرب شعبية، أعلن قبوله تسوية قوامها تطبيق قرارات الأمم المتحدة. هذا كله لعب دوره في إنضاج رؤية ياسر عرفات. وقد استطاع هو أن يوظف تأثير الواقع المحيط لتحويل الرؤية الجديدة إلى قرار سياسي، الرؤية التي بلورتها، قبل أي حساب وبعده، الرغبة في تحقيق شيء لصالح الشعب الفلسطيني. وقد اغتنم عرفات اللحظة السياسية التي واتت بتأثر حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، وما حملته من وعود لكل طرف، فدفع الأمور في هذا الاتجاه إلى أن أمكن تكريس الخط الواقعي في المؤسسات الوطنية.

رأفت: كثيرون كانوا يدعون إلى الواقعية السياسية قبل ياسر عرفات: الجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعي وغيرهما. غير أن عرفات انتقى اللحظة التاريخية المناسبة نتيجة المتغيرات التي اقترنت بحرب 1973، واستثمر الجو الإقليمي والعربي للدفع باتجاه القبول بالتسوية. وهكذا، صادق المجلس الوطني في العام 1974 على برنامج النقاط العشر. وتكرر الأمر في المبادرات التي طورت هذا البرنامج، وصولاً إلى مبادرة السلام الفلسطينية في العام 1988 ووثيقة استقلال دولة فلسطين. هنا، التقط عرفات اللحظة التي وفرتها انتفاضة الأرض المحتلة والتعاطف الدولي مع نضال الشعب الفلسطيني، فجهر بالدعوة إلى تسوية مع إسرائيل تشكل قرارات الأمم المتحدة مرجعية لها. وبين هذا وذاك، عمل عرفات على تكريس م.ت.ف. ممثلا شرعياً ووحيداً لشعبها، وظفر بموافقة الدول العربية والأمم المتحدة على هذه الحقيقة.

حوراني: سبق التنويه بدور الجبهة الديمقراطية في الدفع نحو الواقعية السياسية. لكن من الضروري الإشارة إلى أن هذه الجبهة، مثلها مثل الفصائل الأخرى، جاءت من منبت الرفض، وتحولها نحو الواقعية ينطبق عليه ما ينطبق

على تحول سواها، حتى وإن تميزت بالجرأة في هذا المجال. الأخ قيس عبد الكريم مدعو لتفسير هذا التحول ودور عرفات فيه.

عبد الكريم: إنه تحول من إستراتيجية تعول على النضال من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني بواسطة الكفاح المسلح، وهو ما كان في حينه شعاراً لفصائل م.ت.ف.كلها، إلى ما تمكن تسميتها استراتيحية المرحلية، أي رسم هدف للمرحلة أقل من الهدف الكامل والتدرج عبر المراحل التالية في اتجاه تحقيق هذا الهدف الكامل. حركة المقاومة الفلسطينية بلغت مع منتصف السبعينات الذروة من حيث سعة التأييد الشعبي لها على المستويات الفلسطينية والعربية والعالمية. لكن هذه الحركة راحت تصطدم بالواقعين الرسميين العربي والدولي، حيث لم تسمح المعطيات بتنفيذ إستراتيجية المرحلية. نذكر بالصدامات التي تعاقبت في الأردن ولبنان والتوترات التي وسمت علاقة م.ت.ف. وفصائلها بدول المحيط. إذاً، كان لابد من تحول آخر في الرؤية الإستراتيجية مع أخذ معطيات الواقع العربي والإقليمي، ناهيك بالدولي، بعين الاعتبار وإمكانات تغييره ضمن موازين القوى القائمة. هذا أجج الجدال الجاري في صفوف المقاومة، في أوساطها القيادية وجماهيرها. احتدام هذا الجدال بعد 1970 و1971 أفرز استراتيجية المرحلية معبراً عنها ببرنامج النقاط العشر في العام 1974. الرؤية الإستراتيجية الجديدة التي أفرزتها التطورات اللاحقة قامت على قاعدة أن الهدف المباشر الذي يمكن تحقيقه إذا استنهضت من أجله القوى هو تأسس دولة فلسطينية مستقلة على ما احتلته إسرائيل من أرض فلسطين في العام 1967، أي على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة، وبضمنها، بالطبع، القدس الشرقية. إذاً، أبرز التعارض بين الهدف المطلق وبين القدرات والمعطيات الواقعية الحاجة لتجاوزه برسم هدف يمكن بلوغه. أبو عمار لم يكن الوحيد الذي التقط هذه الحاجة، فقد كان هناك شعور واسع بضرورة تبنى الإستراتيجية الجديدة. وفي رأيي أن عقابيل حرب 1973 شكلت عاملاً حاسماً دفع لاتخاذ قرار بهذا الشأن. فقد اتضح بعد الحرب ومن خلال شتى أنواع المفاوضات التي انهمكت مصر والدول العربية الأخرى

فيها مقدار السقف الذي يمكن للواقع العربي أن يحققه في مجال الصراع مع إسرائيل. ووُضعت مسألة التسوية على جدول الأعمال، وطرحت التساؤلات حول تأثير تسوية عربية إسرائيلية على القضية الفلسطينية، هل ستهدم مثل هذه التسوية القضية، أو إنها ستجعل القضية عاملاً رئيسياً في الصراع. إنه السؤال الذي صار لابد من تحديد إجابة واقعية عليه، من خلال تحديد موقع القضية الفلسطينية في التسوية التي تتطلع دول عربية إلى إبرامها مع إسرائيل. حينها، برز الدور الشخصي لياسر عرفات. لقد أدرك القائد أن العزلة عن المسار الذي أعقب الحرب قد تفضي إلى موت القضية الفلسطينية، فألقى بثقله الكامل في اتجاه المشاركة في مجهودات التسوية. وكان هذا هو ما جسد التطابق بين موقف عرفات وأسلوبه وبين الحاجة الموضوعية.

يوسف: انطلاقة "فتح" شيء، وحرب 1967 شيء آخر، وحرب 1973 شيء ثالث مختلف، وإن شكلت جمعيها محطات مهمة جداً. في تقديري أن تحولاً ذا أهمية طرأ على عقلية ياسر عرفات وقيادة "فتح" بعد حرب 1967. هذا التحول انطلق من حقيقة أن النظام الفلسطيني دخل بعد هذه الحرب في منظومة النظام السياسي العربي، فصارت م.ت.ف. جزءا منها. عند انطلاقها، عولت "فتح" على أن الكفاح الفلسطيني المسلح ضد إسرائيل سوف يأتي بالدول العربية إلى المعمعان فتتمكن جيوشها من تحرير فلسطين. نتائج حرب 1967 ألغت هذه الفكرة. وهكذا، أدركت قيادة "فتح" في وقت مبكر أن ما طرحته مع الانطلاقة لابد من تعديله، وبدأت تعد نفسها بصورة أو أخرى للتحول. حرب 1973 التي كانت حرب تحريك وليست حرب تحرير أوجدت ظروفاً كثيرة. هذه الحرب فرضت الشروع في عملية السلام، فيما لم تكن الساحة الفلسطينية جاهزة بعد للتحول، لأن موضوعة السلاح كانت ما تزال هي السائدة. هنا، شق عرفات الطريق لتكريس التحول اللازم، ولقي مساعدة من ناس في الفصائل كافة، واستخدم صبره في الحوار، فراح يحاور لساعات يومياً على مدى شهور متصلة، يحاور الجميع ولا يستثنى أحداً. كان أبو عمار فلسطينياً مستقلاً. ربما عقد تحالفاً على جانب أو آخر لسبب أو غيره، لكنه لم يصر ملكاً لأحد. وهذا هو

ما أدرج موضوعيته ودعوته إلى الواقعية في إطار المسؤولية الوطنية ووفر لهما الاحترام والقبول. لقد كان بين أبرز سمات عرفات قدرته على التقاط المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية ودلالاتها في ظل الصراعات المحتدمة، وكذلك قدرته على بلورة الكيانية الفلسطينية والدفاع عن استقلالها.

حوراني: العمل لاستعادة عروبة فلسطين كاملة انطلق من الاعتقاد بأن قضية فلسطين هي قضية العرب كلهم وهي قضيتهم الأولى. من هنا، اعتمد الجميع شعار تحرير فلسطين، تحرير كامل التراب الفلسطيني ورفض وجود إسرائيل. أعتقد أن ما حصل في 1967، ثم ما حصل في الأردن في أيلول/سبتمبر 1970 وتموز/ يوليو 1971، وما تكرر في صورة أو أخرى في لبنان قد زعزعا الاعتقاد الذي بدا قبل ذلك بديهياً. فقد اتضح أن العرب ليسوا عرباً واحدة إزاء الشأن الفلسطيني بل عربانا عدة، كما اتضح أن لفرقاء عرب كثيرين قضايا قد تشغلهم بأكثر مما تشغلهم قضية فلسطين. وكان في هذا ما فتح العيون على الواقع وأعلى شأن الواقعية. تطور آخر رعاه عرفات. فقد تحول الموقف الفلسطيني من التشبث بالكفاح المسلح طريقاً معلناً وحيداً لتحرير الوطن إلى القبول بالمزج بين وسائل الكفاح المتعددة المسلحة وغير المسلحة. واستمر التحول فبلغ حدّ إعلان ياسر عرفات نبذ العنف واعتماد المفاوضات طريقاً أساسياً صار عند بعضهم وحيداً. في هذا التحول المطرد، أين أصاب عرفات وأين أخطا؟

الصالحي: اعتقد أن اعتماد الكفاح المسلح طريقاً وحيداً لتحرير فلسطين شكل عند عرفات تكتيكا، وليس إستراتيجية كما أعلن. فحلول "فتح" والفصائل المسلحة الأخرى في قيادة م.ت.ف. برئاسة عرفات أوجب على هؤلاء أن يميزوا أنفسهم بشيء، فكان هذا التميز المرتبط بطبيعة نشأتهم: المقاومة المسلحة. لكن هذا لم يشكل عند عرفات، في تصوري، الاستراتيجية الوحيدة لتحرير فلسطين. لقد أصاب عرفات في الجانب التكتيكي. فهو بتبنيه الكفاح المسلح انتزع القيادة. أما في الجانب الاستراتيجي، فهذا الشعار لم يكن شعاراً واقعياً. والدليل، مستخلصاً من سلوك عرفات ذاته، أن هذا القائد اعتمد على

أرض الواقع المزج بين أشكال الكفاح المسلح منها وغير المسلح، العسكري والسياسي، العنفي والسلمي، منذ تحقق الهدف التكتيكي. وهنا، أستطرد لأقول إن "حماس" استخدمت التكتيك ذاته: التركيز على الكفاح المسلح بهدف انتزاع القيادة. أما المرحلية فكانت محطة في مسار التطور في اتجاه الواقعية السياسية اختفت منذ جهر عرفات بالمطالبة بدولة فلسطينية في حدود 1967. أعتقد أن عرفات أصاب حين مزج بين الأمرين، وأصاب أيضاً في التحول إلى الواقعية السياسية.

قفيشة: إذا تحدثت بواقعية، خصوصاً بمن أمثلهم، فإن هذا يشكل نوعاً من المتاعب، إلا أن المسؤولية الوطنية تجبرني على أن أتحدث. كان أبو عمار، في تقديري، يدرك أن الفلسطينيين لن يستطيعوا أن يبلغوا المستوى من القوة اللازم كي يحرروا فلسطين لوحدهم، فعليهم أن يمارسوا الكفاح المسلح، كي يبقوا جذوة الكفاح متقدة ويبقى الصراع، فيدخل فيه الآخرون. أعتقد أن الفصائل الفلسطينية كلها تدرك أننا لا نستطيع أن نقود حرب تحرير ونحرر فلسطين وحدنا. فالتحرير لا يستكمل إلا بمشاركة الجيوش العربية فيه، وهذه قد خذلتنا مرات كثيرة. لقد كشفت الهزائم العربية ظهر عرفات والشعب الفلسطيني. وهذا هو ما دفع الرجل إلى التحول الذي نختلف بشأنه. لقد أخذ عرفات ينحاز إلى الطريق الآخر. مع هذا أعتقدُ أن المفاوضات لم تكن عند أبي عمار وسيلة واحدة وحيدة، بل رافقها الكفاح المسلح أيضاً. إن بإمكاننا نحن الفلسطينيين أن نبقي جذوة الصراع متقدة بالرغم من آلامنا ومعاناتنا.

رأفت: في البداية، استخدم عرفات الكفاح المسلح بما هو سلاح وحيد لاستنهاض الشعب الفلسطيني. أما بعد 1967، فقد توفرت فرص العمل الجماهيري في الأرض المحتلة وخارجها، كما توفرت أساليب المقاومة غير المسلحة أيضاً. وكان عرفات يلتقط دائماً اللحظة المناسبة. وبعد 1973، انفتحت آفاق لإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي، فيما تراجع الدور الأردني في الضفة والدور المصري في غزة. وقتها، تأكد لعرفات أن الكفاح المسلح ليس

هو الطريق الوحيد، فهناك أيضاً طريق العمل السياسي والجماهيري والطريق التفاوضي. وحرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 استنهضت الشعب الفلسطيني. وعلى صعيد الواقع، بصرف النظر عن الشعار، ظل ياسر عرفات طيلة حياته يمزج بين أشكال الكفاح كلها. وقد اتضحت دلالة ذلك في انتفاضة الأقصى.

ملوح: أبو عمار لم يبتدع شيئاً جديداً في هذا الموقف، بل استوحى تجربة حركات التحرر في العالم أجمع. ولكن أبا عمار فقد السيطرة في مراحل معينة بسبب اختلال موازين القوى أو لأسباب أخرى. أتفق مع القول بأنه كان يربط بين أساليب المقاومة والتفاوض المختلفة. لقد خضع أبو عمار في مرحلة أو أخرى لحركة الواقع، مدريد، وأوسلو، وغيرهما. لكن التزامه القضية بقي ثابتاً، وكذلك عزمه على الكفاح. يحسب له موقفه في كامب ديفيد 2000. فعندما بلغ الأمر حداً معنياً، اتخذ عرفات الموقف المتفق مع قناعته واعتقاده، دون أن يتهيب إزاء الثمن الذي كان عليه أن يدفعه هو وشعبه يومياً.

عبد الكريم: التحول في النظرة إلى وسائل النضال كان طبيعياً، وكان جزءا من التحول في المنظومة الاستراتيجية، من تحرير كامل التراب بالكفاح المسلح إلى تحرير الأرض المحتلة في العام 1967 بالمزج بين أشكال النضال كلها وبضنمها العمل السياسي والتفاوض. لكن أبا عمار غرر به عندما اعتقد أن المفاوضات وحدها، في صيغة أوسلو، يمكن أن تؤدي في نهاية مرحلة انتقالية إلى دولة فلسطينية مستقلة. كان هذا وهماً، وكان سائداً على نطاق واسع في أوساط القيادة الفلسطينية بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو. غير أن الحال تبدل إثر فوز الليكود في الانتخابات الإسرائيلية، ثم استكمل التبدل بعد مفاوضات كامب ديفيد 2000.

يوسف: عقلية ياسر عرفات عقلية وسطية، فهو ليس متطرفاً ولا استسلامياً، بل هو وسطي يؤمن بالتسوية. لقد أدرك أن مجمل الظروف لا يعطيه ما يطمح إليه كله، لا يبلغه كل ما استهدفته شعارات انطلاقة "فتح" في العام 1965. فاتخذ خطوات تعاقبت: تصدُّر قيادة م.ت.ف.؛ تمكين المنظمة من أن تصير

الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني والمسؤولة عن صياغة مستقبله؛ التمهيد للتخلي عن الرفض المطلق والتحول نحو القبول بتسوية مع إسرائيل، ثم التحول. لم يخطئ أبو عمار حين اختار هذا التوجه، بل أخطأ في توقيته. كان عرفات مدركا أهمية دعم العرب له عسكرياً وسياسياً. وقد أخطأ عندما لم يشارك الرئيس المصري أنور السادات في عملية التسوية التي شرعت مصر فيها حين كان جيشها منتصراً. في الظرف العربي الذي نشأ آنذاك، كان من الصعب أن ينضم أبو عمار إلى حلف مع السادات، لكنه كان مطالباً بالمجازفة، فهذه هي ضريبة القيادة، وهي مصلحة الوطن. وقد كان من الممكن أن نتفاوض نحن ومصر وينضم إلينا وإليها عرب آخرون، وذلك بخلاف ما جرى بعد ذلك حين توجب أن نفاوض وحدنا دون سند. مرحلة السادات كانت مناسبة لاستكمال التحول، لكن عرفات لم يستثمرها جيداً. وقد كان من الممكن أن يلزم السادات إسرائيل رفع العلم الفلسطيني منذ ذلك الوقت.

حوراني: أختم مناقشتنا حول النقطة المتعلقة بالتحول بالتأكيد على أهمية الآراء التي قيلت، وأضيف أن الاستهانة بالعمل السياسي لصالح تأليه الكفاح المسلح كانت سمة عامة اتصفت بها الفصائل الفلسطينية المسلحة كافة. ولنتذكر كم تكرر نداء: اخرس يا قلم ولعلع يا رصاص! هناك سمة أخرى من سمات نهج عرفات تمسك هو بها لزمن طويل امتد قرابة عشرين سنة بين 1968 و1988، هي حرصه على أن تتخذ القرارات المفصلية الوطنية بإجماع فصائل م.ت.ف.. فمن أين جاء هذا الحرص: أهي حاجات العمل الوطني، أم هي حاجته هو للاحتفاظ بزعامته على الجميع؟

الصالحي: الأمران معاً. والحاسم هو أنه لم يكن من المفيد في تقدير شخص ذكي ولماح مثل ياسر عرفات إتباع نهج آخر ما دامت متطلبات الوحدة الوطنية حاسمة التأثير في ما يمكن إنجازه. من هنا، شهدنا كيف لم يعد عرفات يولي مسألة الإجماع الأهمية ذاتها منذ صار في اليد بديل ملموس. في مراحل الحرص على الإجماع، كان على القائد أن يحتفظ بعناصر القوة كلها وبضمنها

قوة الإجماع مادام أن ليس في المتناول الحصول على شيء. لقد كان من الخطأ التضحية بالإجماع مقابل أملٍ تحقيقه غير مضمون.

قفيشة: بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام 1982، كانت هناك تحولات. الخلاف الفلسطيني الفلسطيني أدى أو كاد يؤدي إلى تدمير م.ت.ف. عرفات اكتسب من المنظمة قوة مثلما اكتسب من "فتح". والخلاف الهائل الذي وقع، إضافة إلى الاجتياح والهزيمة، أضعف المنظمة كما أضعف "فتح"، فضعف عرفات، وصار معنياً بالإجماع الوطني لإعادة الهيبة إلى المنظمة والوضع الفلسطيني واستعادة هيبته الشخصية أيضاً. الرئيس الذي خرج من مصائب هائلة سابقة سببتها الانقسامات شعر بحاجته إلى قوة، ورأى أن الإجماع كفيل بإعادة القوة إليه وإلى المنظمة. وفي الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني التي عقدت في الجزائر، قدم عرفات تنازلات لليسار، خصوصاً الجبهة الشعبية، من أجل المحافظة على الإجماع وجمع الكل في المنظمة تحت قيادته. لقد شهد العام 1988 انطلاقة جديدة لياسر عرفات والقيادة الفلسطينية. وفي كل حال، حركات التحرر بحاجة دائماً إلى الإجماع.

حوراني: نتحدث عن اتخاذ القرار بالإجماع أو الأغلبية. اسمحوا لي بتصويب معلومة. حِرصُ عرفات على الإجماع برز منذ ما قبل اجتياح لبنان وامتد حتى العام 1988. وفي هذا العام، نشد عرفات الحصول على موافقة المجلس الوطني بالإجماع على مبادرة السلام الفلسطينية الشهيرة، وأدرك مع احتدام الجدال حولها تعذر الحصول على هذا الإجماع، فلم يتشبث به، لم يرهن اعتماد المبادرة بتوفر الإجماع عليها، بل رضي بتوفر أغلبية. ومنذ ذلك الوقت، صارت هذه هي القاعدة: المصادقة على القرارات الحاسمة بالأغلبية وليس بأي إجماع. انطبق هذا على قرار التوجه إلى مؤتمر مدريد، واعتماد اتفاقية أوسلو، والدعوة إلى تعديل الميثاق الوطني..الخ. وقد ينبغي أن أضيف أن المصادقة بالأغلبية، وليس بالإجماع، وفرت للقرارات صدقية أقوى.

رأفت: كان ياسر عرفات حريصاً على الإجماع فعلاً. لكن، حين كان من الممكن

أن يتسبب التشبث بالإجماع في تعطيل صدور قرار يلبي المصلحة الوطنية وفق رؤيته هو لها وللمتغيرات التي تساعد على إنجاز شيء ما للقضية، فإنه لم يكن بتشبث به. عندما وقع في العام 1988 خلاف حول مبادرة السلام، لم يتشبث هو بالإجماع حتى لا يتعطل إقرار المبادرة، بل رضي بالأغلبية. والواقع أننا كنا نسمي مصادقة المجلس الوطني أو المجلس المركزي على قرار ما إجماعاً في حين أن المصادقة كانت تتم عملياً بالأغلبية، وكانت هناك على الدوام معارضة وتحفظات. كان عرفات عارفاً بتأثيرات التشتت الفلسطيني والتدخلات العربية المتعارضة، فكان يسعى إلى الإجماع حتى لو تحقق ظاهرياً لكي يوحد الأشتات ويبطل تأثير التدخلات العربية في الشأن الداخلي الفلسطيني.

ملوح: كان أبو عمار يهتم بأمرين: الحاجة الوطنية والحاجة الشخصية. وحاجته الشخصية تجسدت في حرصه على تعزيز موقعه بما هو شخص أول. يضاف إلى هذا التحدياتُ التي كانت الساحة الفلسطينية تواجهها والتأثيرُ الخارجي في الداخل الفلسطيني، الأمر الذي ما يزال قائماً إلى اليوم. كان لدول عربية امتدادات تنظيمية داخل الساحة الفلسطينية، وكان لها تأثيرها. وصار على عرفات أن يوازن بين العوامل متعارضة التأثير. كان من الممكن أن يخلق كل عامل أزمةً للشرعيةٍ ويثير شكوكا حول ما يمثله عرفات. وقد حرص الرجل على أن يظهر أمام المجتمع الدولي بوصفه الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، هو الذي يدرك أن أي تشكيك في التمثيل سوف يخلق مصاعب وأزمات سياسية ووطنية. هنا، أشير إلى أن التوازن كان يخرق في بعض المحطات. أبرز الخروق تجسد في دورة المجلس الوطني في عمان 1984. فمعظم الفصائل أبلغ إلى عرفات أنه لن يشارك في هذه الدورة. بالرغم من هذا، كان لدى عرفات اعتبارات جعلته يدير ظهره للمعارضة الواسعة، كان يراهن على العلاقة مع الأردن ويرى أنها تحمل وعوداً بمستقبل أفضل. وهكذا عقد الدورة التي غاب عنها ممثلو معظم فصائل م.ت.ف. ثم عقد اتفاق عمان الشهير في شباط/فبراير 1985 بالرغم من المعارضة الواسعة له، المعارضة التي ضمت

حتى بعض من حضروا دورة عمان. آنذاك، شعر عرفات بأنه سيعوض الخلل بتحقيق اختراق سياسي لصالح القضية. لكن، عندما تراكمت المشاكل وأسقطت هذا الرهان، اتخذ عرفات المبادرة لاستعادة الوحدة الوطنية، وتوج السعي في هذا المجال بعقد دورة المجلس الوطني التوحيدية الشهيرة. إلى ما تقدم، كان عرفات حريصاً على اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بما هي مؤسسة. وأشد ما أزعج عرفات وأزعجنا جميعاً تمثل في محاولة إحداث الشرخ الخطير في م.ت.ف. في 1983. هنا، تضامنت القوى الفلسطينية لحماية المنظمة وحقها في تمثيل الشعب. وما نواجهه اليوم، الشرخ الذي نواجهه، كدنا نواجهه منذ أكثر من عشرين سنة. حِرصُ عرفات على البروز بوصفه الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني امتزج فيه دافعان: وطني وشخصي. وكثيراً ما لجأ عرفات إلى تدوير زوايا المواقف المختلفة من أجل كسب التأييد لصالح المشروع الوطني وصيانة موقعه قائداً للحركة الوطنية.

عبد الكريم: تمتع ياسر عرفات بإحساس مرهف إزاء الأهمية الاستثنائية لمسألة

وحدانية التمثيل الفلسطيني واستقلاليته بالنسبة لمجمل النضال العربي. لقد شكلت هذه المسألة جزءً مهماً من إستراتيجية البرنامج الوطني المرحلي. الجبهة الديمقراطية شاركت عرفات القناعة بأولوية الدفاع عن هذه الوحدانية. وفي المحطات التي وقعت فيها خلافات كما كان عليه الشأن إزاء اتفاقية أوسلو مثلاً، كانت الجبهة تقف في خندق الدفاع عن شرعية م.ت.ف. ورئيسها ياسر عرفات حتى وهي مختلفة معه. وكان أبو عمار يدرك أن الحفاظ على وحدانية التمثيل والاستقلالية يتطلب إجماعاً وطنياً. لكن، حين كانت حاجة ماسة لقرار لا يحظى بالإجماع تبرز، لم يكن هو يتردد في استصدار القرار بالأغلبية، وكان يبدأ العمل فوراً بعد كل مرة لتدارك النتائج المترتبة على الخلاف.

يوسف: عندما نتمعن في ما حدث في كامب ديفيد 2000 وما تلاها سندرك أن الشأن الشخصي كان بالنسبة لياسر عرفات هو العامل رقم 10 المؤثر في

صياغة موقفه في الشأن العام وليس الأول ولا الثاني. العامل الأساسي تجسد عند عرفات في المسألة الوطنية. ولقد كان حريصاً حقاً على وحدة المنظمة والفصائل، لكنه كان يتخذ القرارات في المسائل المفصلية بغض النظر عن أي خلافات سواء توفر الإجماع أو لم يتوفر. وأعتقد أن وجود الجبهتين الديمقراطية والشعبية وفر عامل تطمين لياسر عرفات في مسائل الخلاف والاتفاق الداخلية. وبغض النظر عن خلافاته مع كل منهما، كان عرفات يرى في هاتين الجبهتين فصيلين فلسطينيين مستقلين تصب قراراتهما في إطار استقلالية القرار الوطني الفلسطيني. وفي الخلاف على مسائل مفصلية، كان أبو عمار يدرك أن أحد هذين الفصيلين سيكون على رأس المعارضة، إن لم يكن كلاهما، وكان هذا يطمئنه لأنه يجد فيه صمام أمان. هذا الحال شكل واحداً من أهم العوامل التي ساعدت عرفات على اتخاذ قرارات مثيرة للجدل دون أن يخشى أن يؤدي الخلاف حولها إلى زعزعة التمثيل الفلسطيني الشرعي، فقد كان يثق بأن هذين الفصيلين سيكبحان أي محاولة للتشكيك بدور م.ت.ف. بما هي الممثل الشرعي والوحيد، أو بدوره هو، لأنهما لن يسمحا مهما اشتدت الخلافات السياسية بالتعدي على وحدانية التمثيل.

حوراني: أضيف إلى ما قيل هنا حول هذه النقطة شهرة ياسر عرفات في اختراق قرارته ذاتها وتجاوز قناعاته السابقة بتأثير قراءته للمتغيرات، أضرب مثلاً اختراقه المتلاحق للميثاق الوطني الذي كان هو وراء صياغته في العام 1968، تجاوزه اشتراطات برنامج النقاط العشر، تراجعه عن اتفاق عمان، إعلانه نبذ العنف ثم عودته إليه. سمةٌ أخرى من سمات عرفات أود أن أستحضرها: مزجه بين الوطنية الفلسطينية والقومية العربية والموروث الديني والرؤية العالمية. ولنقاش هذه السمة، أطرح السؤال التالي: هل جاء مزيج عرفات هذا متجانساً أو بقي مبلبلاً؟

الصالحي: نجح ياسر عرفات في التعاطي بإيجابية مع مكونات الحركة الوطنية الفلسطينية المتعددة وأفكارها المختلفة. وربما تجسدت في هذا ميزة

عرفات الكبرى أي قدرته على التعاطي مع الجميع. أبو عمار لم يكن ذا نزعةٍ إقصائية لأي طرف أو فكرة، بل تعايش مع الجميع وأظهر الاحترام للجوانب الفكرية المختلفة. وفي هذا المجال، كان سلوك القائد محكوماً بأمرين: رؤيته الاستراتيجية لإنجاز هذا الاستقلال الوطني؛ وبراغماتيته العالية التي تميز بها والتي مكنته من التنقل بين النواحي كافة دون أن يضطر إلى تقديم تنازلات أيديولوجية. لم يكن لعرفات منهج فكري محدد في أي من هذه المسائل، بل كان يتعامل معها بمقياس المصلحة المباشرة لخدمة الهدف الاستراتيجي. لهذا، تعايش عرفات مع الواقع التعددي الفلسطيني بسلاسة، وكان يستثمر التعددية لخدمة القضية وتعزيز مكانته الشخصية معاً.

قفيشة: كان أبو عمار واضحا في المزج بين الاعتبارات الدينية التي لا يمكن أن يتجاوزها وبين الاعتبارات العروبية القومية. وهو من القادة القليلين في العالم العربي الذين استطاعوا أن يكون لهم نظرة وفلسفة قوامهما اللقاء على قواسم ونقاط مشتركة بين الديني والعروبي القومي. كان أبو عمار مهندسا في هذا المجال. موقفه في كامب ديفيد 2000 جسد هذه الحقيقة. فتمسكه بالمسجد الأقصى كان منطلقه دينياً وعروبياً في آن واحد. التشبث بالأقصى هو عقيدة عند المتدينين وهو قمة الموقف السياسي عند العروبيين القوميين.

حوراني: أسأل الأخ صالح رأفت: هل نجح عرفات في استنباط خط متجانس من هذا المزيج أو بقي مبلبلاً وخاضعا لتقلب الظروف؟

رأفت: حسب معرفتي بأبي عمار، كانت المصلحة الوطنية هي الأساس بالنسبة له، فكان هذا هو ما رسم خطه الأساسي. ومن أجل هذه المصلحة، كان من الممكن أن يتعاطى مع أي مسألة على الصعد كافة، العربية والإسلامية والعالمية، وأن يستثمر شتى المؤثرات، قومية أو دينية أو أممية. أما ما صاغ الأساسي في خط عرفات، في رؤيته وموقفه وسلوكه، فبقي على الدوام هو تقديره لحاجات المصلحة الوطنية الفلسطينية.

حوراني: للأخ عبد الرحيم ملوح السؤال بكلمات أخرى: هل وفق عرفات في تعامله مع العقائد والاتجاهات الفكرية المتعددة؟

ملوح: أؤكد أن المصلحة الوطنية مثلت له الهم الأكبر. وأنا لم ألحظ أن عرفات التزم فكرا بعينه، قوميا أو إسلاميا أو أممياً. عرفات كان شخصية براغماتية، فكان يوظف حركة الواقع لخدمة الهدف الأسمى. وبحكم أن قضية فلسطين هي قضية تحررية، وفي هدى متطلبات تقدمها ونجاحها، كان الواقع الموضوعي يدفع عرفات باتجاه الاستفادة من شتى الأفكار. ففي البعد العربي القومي القضية الفلسطينية قضية قومية، وفي البعد الإسلامي إسلامية، والأمر كذلك في الأبعاد الدولية والأممية. كانت القوى الفلسطينية موزعة على شتى الأفكار، وكانت تختلف مع عرفات أو يختلف هو معها حول شأن أو غيره، إلا أن الجميع ظلوا يتفقون على ما هو جوهري: المشروع الوطني التحرري. وكان هو من موقعه البراغماتي يسعى لتوظيف الاتجاهات كلها. وفي أغلب الأحوال، توفر دعم موضوعي للقضية الفلسطينية من أطراف وناس ينتمون لتيارات عقيدية وفكرية شتى. وكان نشاط هؤلاء يلعب دورا في تعزيز مكانة عرفات أيضا، بما هو قائد الحركة الوطنية الفلسطينية وزعيمها. لقد دأب عرفات على المناورة بين الاتجاهات والخطوط كافة ليحصل على المساندة اللازمة له وللمشروع الوطني ويعزز دور م.ت.ف.

حوراني: أوجه السؤال مكررا للأخ قيس عبد الكريم.

عبد الكريم: اللون الطاغي على ياسر عرفات كان هو الوطنية الفلسطينية، الوطنية كانت دائما هي نقطة الانطلاقة بالنسبة له. وحتى تحيا القضية وتنتصر، كان لا بد أن يمتد حضورها وتأثيرها في أعماقها الثلاثة، العربي والإسلامي والدولي. وكان عرفات، لهذا، حريصا على الامتدادات كافة. كان يمزج بين الذاتي الوطني والموضوعي المحيط، العربي والإسلامي والعالمي، ولم يقيد نفسه بعوائق تحد من تعاطيه مع الجميع.

حوراني: أود لو أمكن أن يشرح الأخ نصر يوسف كيف رأت "فتح" هذه المسألة؟

يوسف: "فتح" وطنية الوجه، عربية القلب وإسلاميته، وهذا كان بارزا منذ انطلاقتها الأولى. وفي تقديري، كان هناك انسجام في هذا التوجه المتعدد. لقد أهلت ظروف القضية الفلسطينية ياسر عرفات للتركيز على الشخصية الوطنية، فكان حريصا على أن يظهر أن العامل الوطني هو الذي يقوده. غير أنه لم يهمل العوامل الأخرى أبدا.

حوراني: أنتقل إلى نقطة أخرى: ما هو الوصف الذي ينطبق على ياسر عرفات: هل كان قائدا فردا: أو أبويا، أو أنه كان القائد الأقوى في قيادة جماعية، وكيف نقوم نهجه في الاستحواذ على الصلاحيات، وكيف أثر هذا النهج على مؤسسات العمل الوطني وهيئاته؟

الصالحي: يمكن القول بأن عرفات كان قائدا يستحوذ على صلاحيات واسعة، إلا أنه كان يحرص على أن يكون للفريق القيادي الذي يعمل معه حضور قوي. كان يتوخى الموازنة بين استحواذه على الصلاحيات الفعلية وبين أن لا تبدو القيادة التي يرأسها قيادة ضعيفة. هذا كان جزء من استثمار الاستحواذ، يمسك بالصلاحيات مع وجود قيادة قوية لها إمكانيات وصلاحيات. هناك اعتبارات ساعدت عرفات في هذا المجال، منها قبول شركائه القادة بهذا الوضع حتى مع تفاوت درجات القبول. المسؤولية عن هذا الوضع هي إذاً مسؤولية مشتركة بينه وبين زملاء القيادة. ولقد كان هذا خطأ أثر على منظمة التحرير فجعلها تقوى أو تضعف ليس بتأثير العوامل الموضوعية وحدها، وليس في سياق فشلها أو نجاحها في خدمة برامجها، بل نتيجة هذا الاستحواذ. وقد شهدنا كيف ضعفت م.ت.ف. كلية عندما جاءت السلطة الوطنية وكيف استعيد ذكر المنظمة عندما برزت الحاجة إليها لتعزيز مكانة الرئيس فقط. كان هناك نوع من التحكم بالمؤسسة من قبل الفرد. لكن كلما واجه عرفات إصرارا من الآخرين على هيبة المؤسسة ودورها، كان تحكمه بها يبهت أمام هذا الإصرار. المجلس التشريعي الذي انتخب في عهده لم يعطه عرفات في البداية الدور

الذي يستحقه مجلس منتخب. غير أن عرفات ذاته راح يقبل في النهاية دورا لهذا المجلس. يبقى أن أقول إن الاستحواذ واحتواء المؤسسة لم يضعفا م. ت. ف. أمام الخارج. فهنا، ظهر عرفات بوصفه قائدا قادرا على اتخاذ القرار، وفرض موافقة المؤسسات الفلسطينية عليه. أما داخل البنية الفلسطينية فما أشد ما أثر هذا سلبيا على مكانة المنظمة ودورها!

قفيشة: الرئيس عرفات قائد عربي، والقائد العربي متفرد في قضايا كثيرة. لكن، في الأمور الديمقراطية، كان عرفات يحتمل المعارضة في دوائر صنع القرار وإن بنسبة معينة، وكان قادرا على احتواء الأمور بقيادته الهائلة. وبما هو قائد عربي، كان أبو عمار يتفرد في اتخاذ القرارات ويذهب إلى الشورى عندما يريد أن يقوى هذه القرارات، ولا يفضل مؤسسات صنع القرار. قناعتي أن المجلس التشريعي لم يكن له في عهد عرفات دور، وهذا من سمات التفرد في القيادة، وكذلك مؤسسات م.ت.ف. المجلس الوطني كان يدعى حين كان الرئيس يريد منه شيئا، ولم ينتظم انعقاده في النحو الدوري الذي ينص نظام م.ت.ف. عليه. الشخصيات التي وصفت بأنها مستقلة كانت تقف إلى جانب عرفات. في حالة الضغط الذي كان ينصب عليه، كنا نقول إننا جميعا سننتخب أبا عمار وهو صامد صمود الأبطال، وكان أبو عمار قائدا أبويا. وفي أوج خلافه مع "حماس"، ومع اعتقاله الألوف في فترة 1996-1998، كان قادرا على إفراغ السخط بتصرف بسيط، كأن يزور الشيخ أحمد ياسين ويقبل رأسه. وكان الناس يشاهدون هذا ويتأثرون به، ويشعرون بأنهم أمام قائد أبوي وزعيم وليس رجل دولة فقط. لقد كان قائد ثورة يمزج التفرد والأبوة في القيادة.

رأفت: ياسر عرفات كان حريصا على التعددية وعلى مشاركة قوى الساحة الفلسطينية كلها في مؤسسات م.ت.ف. بغضّ النظر عن الخلافات. وفي القيادة، كان دور أبي عمار يطغي على المؤسسات كافة. لقد بلغ الحالة التي كرس فيها زعيما للشعب الفلسطيني ورمزا. كرس لهذا شعبيا وليس رسميا فقط. لكن أبا عمار كان يحرص على التشاور، ثم يتخذ القرار الذي يراه هو حتى

لـو خالفه الـرأي الـذين استشارهم جميعهم. وكـان فـي هـذا إضعاف للبنـاء المؤسسي سواء في م.ت.ف. أو "فتح".

ملوح: لا أستطيع أن أصف عرفات بأنه الأول بين آخرين، خصوصا حين نتحدث عن سلوكه في السنوات الأخيرة، هو الذي كان في السبعينات أقوى مما صار بعدها. يمكن وصف عرفات بأنه قائد بونابرتي، فهذا هو أقرب وصف يمكن أن ينطبق عليه. وكلما تعلق الأمر بتفرده في القرار، كانت المؤسسات هي أول ضحاياه، مؤسسات م.ت.ف. و"فتح". وقد استشرت هذه الحالة خصوصا بعد غياب قادة كبار عن الساحة. وفي المرحلة الأخيرة، كان عرفات يقيم للمؤسسة وزنـا بمقـدار خضـوعها لـه. مع هذا، وبالرغم منه، كان أبو عمار حريصا على التعددية بأشكالها كافة، الفكرية والسياسية والتنظيمية وغيرها. هذا، في رأيي، مرتبط في الأساس بولائه لمنظمة التحرير وحرصه على وجود الجميع فيها، لكنه لم ينعكس بالضرورة في تعامله مع المؤسسات. فهنا، كان يحرص على أن يظل هو صاحب القرارات كلها، المالية والعسكرية والسياسية وغيرها.

عبد الكريم: ديمقراطية عرفات هي ديمقراطية غابة البنادق، وهذه مختلفة عن الديمقراطية التقليـدية، فهي تحتمل التعددية والاختـلاف والنقاش والحوار، لكنها تخضع في النهاية لقرار واحد، هو قرار فرد، وكان لا بد من أن يكتسب هذا الفرد سمة أبوية. لقد كان سلوك عرفات يتسم بنزعة أبوية على الدوام. مع هذا كان أبو عمار يحرص على الشورى.

يوسف: أبو عمار لم يكن بونابرتيا، بل كان أبويا، وكان حريصا على القرار العام. تجـب دراسة سيرة عرفات فـي سياقها الكامل وليس في محطات ومواقف متفرقة، لقد كان الأمر مختلفا قبل أوسلو ودخوله الأرض الفلسطينية عما صار إليه بعدهما، فقبل أوسلو، كان لدى عرفات شخصيات قيادية قوية يعتمد عليها ويثـق بقـدراتها ولا يشـك فـي إخلاصها لحظة واحدة، وكان في وجود هذه الشخصيات قوة كبيرة له. غياب هؤلاء أشعر عرفات بأنه صار أضعف. أبو عمار كان من النمط الشكاك، وكان حريصا على القرار الفلسطيني. يقاتل بين يدي

القرار الوطني، وقد دفع حياته ثمن حرصه على أن يكون القرار خادما للقضية الوطنية. ولئن ظهر عرفات كأنه متفرد، فلأن القيادات القوية غابت. وكان للصراع مع إسرائيل أبعاد وإمكانات أوجبت اتخاذ قرارات حاسمة. وهذه كلها عوامل صنعت شخصية عرفات. ولا ينبغي أن ننسى أنه نظم انتخابات تميزت بالشفافية وقبل فيها منافسين له.

حوراني: أرغب في أن استحضر حقيقة أن عرفات، إن كان متفردا كلما وهنت الكوابح التي تحد من تفرده، فإنه لم يلجأ إلى تصفية معارضيه، وندر أن لجأ إلى قطع رزق أي منهم. وهذه واحدة من إيجابياته، لقد استخدم الرجل أساليب ووسائل مشروعة وأخرى يصعب وصفها بأنها مشروعة لكي يوسع الالتفاف حول كل برنامج نذر نفسه له ويمتن الولاء لشخصه وزعامته. وبلغ عرفات حد المماهاة بين الولاء للقضية الوطنية وبين الولاء له، أو اقترب كثيرا في هذا الحد. فهل كان هذا هو ما أفرزته الحالة الفلسطينية وظروفها، أو كان نتيجة سلوك فردي منه، ولو كان هناك قائد غير عرفات فهل كان سيتبع النهج ذاته وينجح؟

الصالحي: المكانة التي حققها عرفات تجسدت عبر معارك طويلة وصعبة، مضمونها الأساسي كان انتزاع شرعية التمثيل الفلسطيني والحقوق الوطنية للشعب. فهذه المعارك خلقت تعاطفا كبيرا مع الرئيس بوصفه عنوانا لها، خصوصا أن شجاعته ولباقته ساعدنا على إظهار دوره الشخصي فيها. استحضر في هذا المجال معركة إيصال م.ت.ف. إلى الأمم المتحدة، وحصولها على مرتبة عضو مراقب، والخطاب الذي ألقاه ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام 1974 والذي كرسه أمام العالم مثلما هو أمام الشعب الفلسطيني قائدا وزعيما لهذا الشعب. لا شك في أن ما أنجزه عرفات قد أحكم الربط بين مكانته الشخصية وبين القضية الفلسطينية، وهو ربط موضوعي بين دور عرفات قائدا وبين طبيعة المعارك التي خاضتها قوى الشعب الفلسطيني بقيادته والتعاطف الذي ظهر من خلال متابعة الناس

تفاصيلها ومراقبتهم تصرف القيادة. لقد وافق هذا هوى عرفات ومزاجه، فأحسن هو استثماره في علاقاته الداخلية والخارجية.

قفيشة: سبق أن ذكرت ما في عرفات من تفرد وشخصنة الأمور مثله في هذا مثل الزعماء العرب. لكن حين يتعلق الأمر بزعيم قضية بحجم قضية فلسطين، لا بد من أن تجعله ظروف القضية وتطوراتها ينظر إلى المعارضة التي تنهض ضد سياسته كأنها معارضة ضد المشروع الوطني ذاته، ضد الحلم الفلسطيني.

رأفت: البيئة العامة ومكوناته الشخصية هي التي صنعت ياسر عرفات، وككل قادة العرب، استخدم هو الآخر الأساليب المشروعة وغير المشروعة للدفاع عن النظام والسلطة ولحشد الولاء لشخصه.

ملوح: هناك عامل شخصي دفع عرفات إلى أن يكون قائدا. فقد رغب في القيادة منذ بداياته، ممارساته تؤكد ذلك. وفي المعارك كلها، كان يقف في المقدمة. وهذه كلها مواصفات شخصية. المحيط العربي ساهم في هذا المجال، والملكات التي تمتع بها اكتسب جزءا منها خلال نضاله، بسبب دوره في الميدانين السياسي والعسكري وكذلك الميدان الجماهيري.

عبد الكريم: استخدام شتى الوسائل للإمساك بزمام الأمور كافة كان سلوكا طبيعيا بالنسبة لنمط شخصية عرفات وسلوكه القيادي. فقد كانت له شخصية أبوية، فكان يحرص على البقاء في قمة الهرم. وفن البقاء يدفع إلى استخدام الوسائل جميعها. وكان يدرك نقاط ضعف الآخرين ووسائل حملهم على التسليم بمكانته القيادية، وقد تعزز هذا السلوك مع اتساع الإمكانيات المتاحة للسلطة.

يوسف: أبو عمار صاحب مشروع وطني وله حق شرعي في المحافظة على مشروعه، ومكانته فيه. وقد استخدم لهذا الغرض معظم الوسائل باستثناء التصفية. وفي ظروف القضية الفلسطينية، كان العبث بها من قبل أطراف إقليمية أو دولية متيسرا جدا، وما زال، ولو لم يستخدم عرفات الوسائل التي استخدمها لما نجح، لا هو ولا أسلوبه، في الحفاظ على القضية. نحن طرف

يتداخل في ساحته تأثيرات الأطراف الخارجية بسهولة. وعرفات كان يحاول تحصين الساحة ضد التأثير الفتاك لهذه التدخلات.

حوراني: اجمعتم على أن عرفات كان يستخدم الولاء لشخصه في خدمة رؤيته الوطنية، فهل كان يعتقد أنه "أشطر" الجميع ويعول على ملكاته الخاصة في العمل لإنجاح المسيرة الوطنية؟ وأجمعتم على أن الرجل كان يتخذ القرار الذي يريده حتى مع حرصه على التشاور مع آخرين، فهل كان قراره يصدر عن دراسة وتمحيص أو أنه كان يعتمد على حدسه ورؤيته الشخصيين؟

الصالحي: كان عرفات حريصا على إظهار عمل المؤسسة القيادية واجتماعاتها دون أن يعني هذا أن القرارات الهامة كانت تؤخذ من قبل المؤسسة. وكان حريصا على إبقاء الشخصيات القيادية المحيطة به ظاهرة في اجتماعات يريد من خلالها تحقيق هدف معين، وبضمن ذلك تأكيد زعامته، أو استثمارها في التفاوض أو إحباط مساعي مضادة له. وإلى ذلك، كان عرفات يدير حوارات جماعية بآليات مختلفة، مع الشخصيات القيادية، وفي الاجتماعات، وفي دوائر اتخاذ القرارات. وكان يُلِمُّ بمواقف الجميع من القضايا المطروحة، ما يجعله متأهبا للرد على أي ملاحظات استنادا إلى معرفة مسبقة. بكلمات أخرى، كان يشاور ويستقصي ويأخذ ملاحظات الآخرين وأفكارهم بعين الاعتبار، لكن القرارات النهائية كان يتخذها هو استنادا إلى تقديره للمعلومات ورؤيته للأمور، ويحرص، مادام هذا ممكنا، على أن لا يتصادم موقفه مع مواقف الآخرين. أما إذا لم يكن من التصادم بد، فكان مستعدا لاحتماله. ويمكن أن نضيف هنا التنويه ببراعة عرفات الخاصة في استخراج المواقف الجماعية بما يناسب المواقف التي يريدها هو.

قفيشة: بصفته زعيم ثورة وقائد حركة تحرر، كان الأولى أن تقوم سياسة عرفات على التحاور مع الفصائل الفلسطينية كافة، المؤيدة له والمعارضة على حد سواء. وذلك من أجل الوصول إلى قواسم مشتركة لتقوية مواقفه التي تحظى بتأييد الجميع أو تأييد الأغلبية. وإذا كان هو حريصا على إجراء

حوارات معمقة حول المسائل المفصلية وحدها، فهذا ليس في صالحه، ليس مما يحسب له، لأن الأصل هو استمرار الحوار سواء تعلق الأمر بمسائل مفصلية أو غير مفصلية.

رأفت: بشكل أساسي، كان عرفات يعتمد على رؤيته الشخصية بعد أن يستشير أكبر عدد ممكن، ثم يؤمن موافقة قد تكون صحيحة وقد تكون شكلية على ما يقرره هو.

ملوح: كان لعرفات ثلاثة مصادر يستهدي بها قبل اتخاذ القرار:

1) المعلومات التي كان يهتم بالحصول عليها.

2) والاستشارات التي يجريها مع ناس في الداخل وفي الخارج، ومثلها الحوارات التي يجريها مع الهيئات القيادية.

3) تقديره الشخصي. وكان عرفات حريصا على جلب أوسع المعلومات واستخدامها في صياغة تقديره للأوضاع. أما التشاور والحوارات فسواء استهدى بها أو أهملها فإنها لم تشكل العامل الحاسم في صياغة تقديره أو قراره. العامل الحاسم كان هو تقديره الشخصي المستنبط من المعلومات المتوفرة ومن رؤيته وتوجهه.

حوراني: استحضر هنا واقعة تفيد في إضاءة هذه النقطة. ففي العام 1982، قدم مركز الأبحاث . م.ت.ف. في بيروت قراءة للمعلومات المتوفرة من المصادر الإسرائيلية حول إعدادات إسرائيل لاجتياح لبنان. وفي هذا التقدير الذي أرسل إلى عرفات، استنتج خبراء المركز في الشؤون الإسرائيلية أن الاجتياح الإسرائيلي لن يتوقف على بعد 45 كم من الحدود كما كانت إسرائيل تشيع علنا، بل سيكتسح الجنوب والجبل وسيبلغ بيروت ويحاول اقتحام الجزء منها الذي تتمركز فيه قوات فلسطينية ووطنية لبنانية وأخرى سورية. قرأ أبو عمار التقدير الذي سلم إليه باليد، ثم لبى التزاما مسبقا بزيارة السعودية وهناك سمع

تقديرا مختلفا. فقد أبلغ إليه مضيفوه السعوديون ما أبلغه إليهم أصدقاؤهم الأميركيون، وهو أن الاجتياح الإسرائيلي لن يتخطى الكيلومترات الخمسة والأربعين. وتأكد لي في حينها أن أبا عمار أخذ بالتقدير السعودي إلى أن أظهر مجرى الاجتياح ذاته خطأ هذا التقدير. فدعونا نعد إلى السؤال ذاته، ما مصدر قرار عرفات: الدراسة والتمحيص أم الحدس والرؤية الشخصيان؟

عبد الكريم: نهج عرفات في اتخاذ القرار كان براغماتيا، وكان هو يغلب رؤيته الشخصية لموازين القوى، وهذه كانت تدفعه إلى اتخاذ قرارات لم تكن كلها "شاطرة".

يوسف: تمتع أبو عمار بحاسة حدس قوية جدا، فكان يستشف التطورات القادمة مبكرا. وفي كل مرحلة كانت له مواقف تختلف عن مواقف سابقة، وكان له في كل شأن مطبخ قرار صغير قد لا يتجاوز عدد أفراده اثنين أو ثلاثة إضافة إليه هو بالطبع. مع هؤلاء، كان أبو عمار يناقش التفاصيل، وكان لهؤلاء دور في صنع قراره. وفي بعض الحالات كان رأي هؤلاء يتغلب على حدسه هو.

حوراني: دعوة عرفات المعلنة كانت الحياد إزاء الدول العربية، فهل سلك فعلا في هدى هذه الدعوة، أو إنه انحاز في مرحلة أو أخرى لطرف أو غيره؟

الصالحي: من حيث المبدأ، اعتمد عرفات عدم التدخل. أما في واقع الأمر فإن م.ت.ف. لم تكن على المسافة ذاتها إزاء الدول العربية المختلفة، بل كانت جزء من التحالفات أو أقامت علاقات متميزة مع دول دون أخرى، وفق الظروف. العلاقة مع الرئيس جمال عبد الناصر كانت غير العلاقة مع الملك حسين، مثلا. وقد تفاوتت حميمية العلاقة أو برودتها طبقا لمواقف الدول العربية من م.ت.ف. وسياستها وحقها في تمثيل شعبها وما إلى ذلك من شؤونها. الأمر الجوهري هنا أن نوع العلاقة رسمته بوصلة الشأن الفلسطيني والقضية الفلسطينية. وقد نأت م.ت.ف. وكذلك ياسر عرفات عن الانهماك في صراع المحاور العربية حين ينشأ على أرضية مسائل لا صلة لها بقضية فلسطين.

وبهذا، لم تقدم م.ت.ف. نفسها أبدا بوصفها جزءا من المحاور والاستقطابات العربية غير ذات الصلة بالشأن الفلسطيني، بل لقد أحسن ياسر عرفات استثمار الموقف من المحاور لصالح تقوية مكانة م.ت.ف. ومكانته هو بين الدول والزعماء العرب.

قفيشة: كان من الواضح أن الانحياز لأطراف أو محاور على الساحة العربية شكل سمة بارزة في تاريخ الرئيس الراحل وفتح في بعض الأحيان باب النقد الذي أنصب على سياسته. وفي حالات بعينها، دفعت القضية الفلسطينية ثمن ذلك بصفة عامة؛ مثال: الوقوف المطلق مع العراق إثر غزو الكويت، وثمنه الثقيل.

رأفت: بصورة عامة، كان الاتجاه هو الحياد، لكن حين كان يقع من طرف عربي ما يرى عرفات أنه مضر بالقضية الوطنية فقد كان يجابهه. لا أرى أنه تصرف في هذا المجال بمزاجية أو أن هواه الشخصي صنع قراره، لقد كان حساسا إزاء أي تدخل في القرار الفلسطيني الوطني، فكان يخشى التدخل السوري مثلا. وفي حرب الخليج، وقف مع العراق من موقع رفضه الانسياق مع الدول العربية التي تبنت الموقف الأمريكي ورفضت أن تتم معالجة الأزمة الناشئة عن غزو العراق الكويت في الإطار العربي وحده. لقد وقف عرفات وم.ت.ف. مع الدعوة إلى الحل العربي وليس إلى شن حرب مدمرة على العراق. وكان قراره في هذا الشأن قرارا وطنيا.

ملوح: رغب أبو عمار في أن يكون على الحياد بين الدول العربية حتى يمكن الظفر بدعمها جميعها، لكن حركة الواقع أثرت في هذا المجال، فظهر منه في بعض الأحيان ما يوحي بأنه مصطف مع طرف أو ضد أخر. كان يخشى في وقت من الأوقات أن يستأثر الأردن بتمثيل الفلسطينيين وتقرير مصير القضية بدل م.ت.ف. كما كان يخشى أن توظف سورية في عهد الرئيس حافظ الأسد الورقة الفلسطينية لصالحها. وكان يطمئن إلى مصر. الخشية والاطمئنان كلاهما ارتبطا بالشأن الفلسطيني وليس بسواه. ومع أن الساحة الفلسطينية كانت

بحاجة إلى الدعم من الجميع، فإن عرفات لم يستطع في بعض الأحوال أن يبقى على مسافة واحدة من الدول جميعها، كان هذا صعبا بحكم التعقيدات العربية والإقليمية والدولية التي تكتنف القضية الفلسطينية.

عبد الكريم: في الممارسة العملية، بصرف النظر عن المعلن، كان أبو عمار يتحالف أو يخاصم وفق تقديره للمصلحة الوطنية. كان ينحاز لكل طرف أو محور يتخذان موقفا وطنيا تجاه القضية الفلسطينية، ويجافي أي طرف يري هو أنه يتخذ مواقف ضارة بها. اعتقد أنه لم يرد عزل نفسه في أي وقت عن الدول العربية التي كانت تشكل مركز القرار في مسائل الصراع مع إسرائيل.

يوسف: الجغرافية كانت مهمة بالنسبة لياسر عرفات. ولقد حرص فعلا على أن يكون على مسافة واحدة من الجميع. لكن الوضع العربي كان يضعه أحيانا في الزاوية التي يظهر فيها بمظهر المنحاز. لقد ظلم أبو عمار حين اتهم بالانحياز إلى العراق ضد الكويت. فهو لم يكن منحازا، لم ينحز إلى دولة عربية ضد دولة أخرى. كان العراق قوة مهمة ضرورية للجبهة الشرقية التي كان عرفات يحرص على وجودها وقوتها. وكان الكويت قوة مالية كبيرة، لـ "فتح" والمنظمة والشعب الفلسطيني، قوة لا يستغنى عنها. فكان عرفات حريصاً على الكويت مثلما هو حريص على العراق. وحين برزت الخصومة بين الدولتين وبدأت النار تسري في ركام العلاقات الإيجابية والسلبية السابقة بينهما، ندب ياسر عرفات نفسه وم.ت.ف. للوساطة، وتجند لإطفاء الحريق، وأشهر الدعوة إلى المصالحة. أما بعد أن وقع الغزو، فقد تصدر عرفات فريق القادة العرب الذين دعوا إلى حل الأزمة المستفحلة في الإطار العربي وحده. بالإجمال، كان عرفات يدرك أن مستقبل القضية الفلسطينية يكمن في تنحية تأثير الخلافات العربية، فكان يلعب دورا توفيقيا. وكانت بعض المواقف العربية تفرض عليه أن ينحاز، إلا أنه لم ينحز لغير القضية الفلسطينية، وبقي حريصا على أن تظل الأطراف جميعا معه. وفي الخلافات السورية العراقية، كان يدرك حاجة القضية لدور كل من البلدين وأهمية هذا الدور، فلم ينحز لأي منهما.

حوراني: التحول إلى المرحلية بما هو تطور بارز في مسيرة الفكر والممارسة السياسيين الفلسطينيين عنى العمل على تحقيق الهدف الكامل على مراحل. التحول الأشد حسما تمثل في القبول بتسوية سياسية مع إسرائيل تستند إلى الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة. كيف تقومون سلوك عرفات في أوسلو، هل تصور حقا أن مفاوضات تنحي الضغوط المادية على إسرائيل وتسترضي الولايات المتحدة سوف توصل إلى تسوية مقبولة ومستقرة، أو إن دافعه إلى مفاوضات جرت في زمن انهيارات مريعة كان الأمل بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرض الشعب الفلسطيني وحقوقه؟

الصالحي: مفاوضات مدريد كانت ضرورية ليس في مقدور القيادة الفلسطينية تجاهلها. يمكن النقاش حول جودة التكتيك الفلسطيني الذي اتبع لضمان المشاركة في هذه المفاوضات. أما في العموم، فإن م.ت.ف. كانت صائبة حين قررت المشاركة في مدريد وتشكيل الوفد الفلسطيني برئاسة د. حيدر عبد الشافي. ولو لم يكن عرفات على قناعة بصواب المشاركة حتى مع استبعاده عن المشهد المباشر لما تمت المشاركة. وما اعتمده الوفد المفاوض استراتيجية لعمله كان صحيحا حين أصر على البدء من حقيقة أن أرض الضفة والقطاع أرض محتلة وتشبث بضرورة معالجة موضوعي الاستيطان والقدس قبل التقدم نحو مواضيع أخرى. هذه الاستراتيجية تغيرت في أوسلو التي وجدت كي تتجاوز تعثر مسار مدريد بالالتفاف على القضايا بدل حلها. وقد اتضح عدم جدية أي معالجة تستثني موضوعي القدس والاستيطان، الاستثناء الذي يسهل على إسرائيل الاستمرار في فرض سياسة الأمر الواقع بالقوة. ولئن أدت أوسلو إلى تشكيل سلطة فلسطينية على الأرض الفلسطينية، فإنها لم توقف الاستيطان والتوسع في القدس، ولم تؤد إلى إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة خلال خمس سنوات، كما كان متفقا عليه. وبالرغم من تعثر مفاوضات مسار مدريد في واشنطن، فإن التقدم فيها كان سيفضي إلى نتائج أفضل من نتائج أوسلو، لو لم يتم الالتفاف عليها وفتح مسار أوسلو الموازي لها.

قفيشة: مصطلح إنقاذ ما يمكن إنقاذه استعمل واستغل كثيرا لدفع م.ت.ف. نحو السير على طريق التسوية. وهذا هو ذاته ما أتقنه زعماء عرب أغلقوا الطرق أمام أبي عمار ولم يبقوا له غير طريق واحد هو طريق التسوية. وقد كان هو مهيأ للدخول في هذا الطريق، بعد أن دخل الرئيس المصري أنور السادات في النفق المظلم، وبعد أن نُحِّيَ شعار التحرير من الماء إلى الماء واعتبرت إسرائيل أمراً واقعاً.

رأفت: المتغيرات على الصعيد الدولي هي التي دفعت عرفات إلى ذلك. مؤتمر مدريد وافقت الدول العربية كلها على عقده والمشاركة فيه قبل أن يصدر قرار م.ت.ف. بالمشاركة. كان من الضروري أن توجد فلسطين على خارطة التفاوض، أن لا تنعزل فتخرج من الصورة ويتقرر مصير قضيتها في غيابها، فجاء قرار م.ت.ف. بالمشاركة، القرار الذي لعب ياسر عرفات دوراً مركزياً في إصداره. وكان هذا قرارا صائبا. الأخطاء وقعت لاحقا، في تكتيك التفاوض في أوسلو، أخطاء كثيرة كان منها الفصل بين مفاوضات المرحلة الانتقالية وبين مفاوضات الوضع النهائي، وتأجيل معالجة قضايا لم يكن من الجائز تأجيل معالجتها. مع ذلك، وبالرغم منه، تمسك عرفات بالحقوق الفلسطينية. وكان من الممكن التوصل إلى تسوية ما في كامب ديفيد 2000 لو وافق عرفات على التنازل عن حقوق بعينها. لقد رفض عرفات التنازل، فاتخذ رفضه ذريعة للعمل من أجل التخلص منه.

حوراني: هل انطلق ما عرض على عرفات في كامب ديفيد من قناعة عارضيه بأنه سيرفضه فيسوغ لهم التخلص منه؟ أوجه السؤال للأخ عبد الرحيم ملوح.

ملوح: في قناعتي أن إسرائيل لا تريد إعطاء الفلسطينيين ولو الحد الأدنى من حقوقهم. ما تريده إسرائيل فعلاً هو ما تطبقه حتى الآن على الأرض. إقصاء عرفات جاء نتيجة تمسكه بمطلب الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وغيره من المطاليب المشروعة. إسرائيل ومعها ناس الإدارات الأمريكية

المتعاقبة أرادوا أن يتولى عرفات وجها واحداً من المسؤولية، الوجه الذي يلائم رغبتهم في إدامة الهيمنة على أرض الشعب الفلسطيني ومقدراته وحركته. لقد أرادوا أن يضبط عرفات الأمن في الشارع، لا وفق حاجات الشعب الفلسطيني بل بما يخدم حاجات إسرائيل، أن يطوع الشارع الفلسطيني لمستلزمات الهيمنة الإسرائيلية عليه، لا أن يذكي المقاومة فيه. وإزاء إبائه، انتهوا إلى قرار إقصائه عن ساحة التأثير، وأعادوا احتلال ما سبق أن سحبوا جيشهم منه، ووضع مشروع الفصل من جانب واحد موضع التنفيذ، المشروع القديم الذي اشتهر باسم مشروع شارون، التوسع في الاستيطان بدل تجميده، تشديد الأطواق وإحكام الهيمنة حتى على تفاصيل حركة الفلسطينيين، الإفراط في استخدام القوة العسكرية، وجدار الفصل ..الخ. كان من الضروري لهم أن يصمت عرفات إن لم يرضخ، لكن القائد الذي لا يرضخ لم يصمت كما أرادوا. لقد اكتشف صانع مبادرة السلام الفلسطينية فشل الرهان على مسار المفاوضات الذي بدأ في أوسلو، فشل المفاوضات التي تجري مع تنحية الضغوط على العدو، فتصرف على هذا الأساس. فحزموا هم أمرهم، الإقصاء لا يكفي، فلا بد من تصفية الذي بقي حتى وهو في سجنه ملهما لروح الصمود.

عبد الكريم: تنصل إسرائيل من متطلبات أي تسوية بحجة عدم وجود شريك فلسطيني هو عنصر من عناصر السياسة الإسرائيلية تجاه عرفات وتجاه سواه. حتى الآن، ترفع إسرائيل الحجة ذاتها إزاء خليفة عرفات وتدعي أن الرئيس محمود عباس ضعيف. الأمر في هذا المجال مرتبط بقدرة أي قيادة فلسطينية أو عدم قدرتها على النزول بسقف المطاليب إلى ما دون الحد الأدنى الفلسطيني المتوافق عليه بين غالبية الفلسطينيين وفصائلهم. قرار تصفية عرفات ارتبط باختراقه المعادلة التي رسمتها دائرة أوسلو، والتي تقول: إن المفاوضات هي الخيار الوحيد للوصول إلى حل، وإن تنفيذ الفلسطينيين التزاماتهم حسب اتفاقية أوسلو لا يوجب على إسرائيل أن تفي بالتزاماتها هي.

يوسف: إسرائيل أرادت أن تقدم شيئا، لكن هذا الشيء كان دون مطاليب الحد

الأدنى الفلسطيني. التزام أبي عمار بالثوابت جعل إسرائيل تقتنع بأن تصفيته ضرورة لها.

حوراني: هل كان عرفات مستعدا حقا للاكتفاء بدولة الضفة والقطاع بما هي المنجز النهائي للحركة الوطنية الفلسطينية، أو أنه أضمر أن يكون هذا المنجز محطة لمواكبة القوة اللازمة للانطلاق في وقت ما، في حياته أو من قبل أجيال قادمة، نحو محطات أخرى؟

- [عند هذه النقطة، دعت الحاجة إلى وقف النقاش، فاتفق على أن يقدم المشاركون في الندوة إجاباتهم على بقية الأسئلة مكتوبة. وقد تلقى معد الندوة إجابات أربعة من المشاركين فقط، و لم يتلق إجابات من السيدين قيس عبد الكريم واللواء نصر يوسف.]

الصالحي: لا يمكن القطع بأن الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع كانت ستشكل المنجز النهائي بالنسبة لياسر عرفات. لقد اعتاد أن يخرج إحصائية تعداد اللاجئين الفلسطينيين في أنحاء العالم كلها من جيبه، تأكيدا منه على ضرورة حل قضية اللاجئين وتطلعه إلى حل للقضية الفلسطينية أكبر من الحل الذي يوفره واقع المرحلة الراهنة. لم يتخل عرفات لحظة واحدة عن حرصه على تزعم أبناء الشعب الفلسطيني كلهم أينما كانوا، ويضمن ذلك داخل الخط الأخضر. غير أن الأمر لم يكن مقتصرا على الرغبة والتطلع، بل كان مرتبطا بصراع فيه أطراف أخرى، وفي المقدمة إسرائيل. ولذا، كان عرفات مغتاظاً جداً من تكتيك رئيس وزراء إسرائيل ايهود براك حين وضع هذا على مائدة المفاوضات مسألة إنهاء الصراع وطي المطاليب الفلسطينية قبل أن تتم إسرائيل انسحابها من الضفة الغربية تطبيقاً لاتفاق أوسلو. الاستجابة لمطلب براك كانت ستضع حدودا أمام القدرة الفلسطينية على المناورة. وعند هذه النقطة، ظهر عرفات متمسكا بأسسٍ في فهمه للوضع النهائي لا يقبل التراجع عنها. عموما، قام تكتيك الرئيس عرفات على السعي لاستعادة أوسع مساحة

تمكن استعادتها من أراضي القطاع والضفة الغربية واستمرار التفاوض من موقع أفضل على أساس ذلك. لكن المشكلة الكبرى تجسدت في أن إسرائيل حالت دون أن تمارس السلطة الفلسطينية سيادة على الأرض، فجعلت السلطة تابعة، غير مستقلة. وكانت هذه هي الخاصرة الأضعف عندما اندلعت الانتفاضة في العام 2000 وما بعدها، ولا تزال.

قفيشة: الاتفاقات التي عقدها أبو عمار مع إسرائيل، والمعاهدات الدولية، وإعلان الاستقلال، كان واضحا فيها اعترافه بوجود إسرائيل وقبوله بدولة فلسطينية نهائية على أراضي الضفة الغربية والقطاع. وهذا هو ما فتح عليه باب المعارضة من فصائل فلسطينية عديدة، وأفقده، بمقدارٍ ما، تعاطف الشعوب الإسلامية والعربية معه.

رأفت: كان الرئيس عرفات مصرا على الربط بين إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس على حدود الرابع من حزيران/ يونيو 1967 وبين حل قضية اللاجئين وفق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ذي الرقم 194، أي بما يوجب إعادتهم إلى ديارهم التي أجلوا عنها وتعويضهم عما فقدوه. هذا الإصرار تجلى في كامب ديفيد 2000 بالرغم من الضغوط الهائلة التي تعرض لها الزعيم الفلسطيني كي يتخلى عنه، كما تجلى في ما أعقب كامب ديفيد من مفاوضات واتصالات، طابا وغيرها. وكان عرفات يدرك أن عودة اللاجئين إلى أراضي 1948، أي إلى داخل إسرائيل، سيؤدي في المستقبل البعيد إلى تحولات جديدة في المنطقة.

ملوح: يصعب جدا الدخول إلى عقل عرفات لمعرفة حقيقة ما كان يضمره ويفكر فيه. لقد صدرت عن عرفات أشارات متناقضة الدلالة حول هذه النقطة، الأمر الذي لا يسمح بالتوصل إلى استنتاج يقيني بشأنها. اليقيني والثابت أن عرفات كان متمسكا بالعمل للحصول على دولة في حدود 1967، الضفة والقطاع والقدس عاصمة، وضمان عودة اللاجئين. وهذا هو ما رفض التنازل عنه في أي مفاوضات بما فيها مفاوضات كامب ديفيد.

حوراني: رحل الرئيس عرفات بينما مسيرة البحث عن تسوية واقفة في مأزق أعقد من أي مأزق واجهته من قبل. فهل تبدل الحال بعد رحيله، وما الذي تبدل؟

الصالحي: حال التسوية لم يتبدل تبدلا جوهرياً بعد رحيل عرفات، اللهم إلا أن مخاطر تصفية القضية الفلسطينية ازدادت، والسلطة التي أسسها عرفات تجزأت، والدولة التي ناضل من أجل تجسيدها يجري تحويلها إلى مفهوم رمزي، بدلا من تجسيد مضمون سيادي حقيقي لها. أخطر ما طرأ هو إعادة تجزئة الشعب الفلسطيني، التجزئة التي تؤثر فيها الصراعات الداخلية الفلسطينية. فداخل حدود الدولة الفلسطينية المطلوبة هناك الآن واقع متباين، في قطاع غزة من جهة، وفي القدس الشرقية من جهة أخرى وهي عاصمة الدولة، وفي بقية الضفة التي تقسمها إسرائيل إلى شمال وجنوب، فضلاً عن واقع الشعب الفلسطيني داخل الخط الأخضر، وفي الشتات. هذا الحال يبرز ضرورة استثنائية الآن للحفاظ على وحدة الكيان المعنوي للشعب الفلسطيني، الكيان الذي جسدته م.ت.ف. ويوجب العمل على حمايتها بما يحفظ وحدة الشعب الفلسطيني التي باتت مهددة بأكبر مما كان عليه حالها في أي وقت مضى.

قفيشة: بعد فشل مشروع التسوية، ظهر جليا لأبي عمار، خصوصاً في كامب ديفيد، أن المطلوب منه هو أكثر من الاعتراف بإسرائيل، فقد كان مطالباً بأن يقر بهيمنة إسرائيل على السلطة الفلسطينية ويوافق على قيامها ببناء هيكل في ساحات المسجد الأقصى. أما حلم الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة فقد اتضح أن الولايات المتحدة غير مستعدة لإجبار إسرائيل على تحقيقه للفلسطينيين بقوة المفاوضات. عندها، قال أبو عمار كلمته المشهورة: "لم يولد الزعيم الفلسطيني المستعد للتفاوض حول الأقصى". ومع زخم التهديد الأميركي له بسبب موقفه، كان واضحا لأبي عمار أن نهايته قد حانت أميركيا ثم إسرائيليا وبرضى بعض العرب وقبول بعض الفلسطينيين. لقد قال:

لا للسياسة الأميركية، قالها وسط البيت الأبيض ذاته، فتقرر هنا أن ينتهي وجوده على خارطة العمل السياسي، فكان الحصار الذي احتبسه في المقاطعة، وانطلقت عبارة "غير ذي صلة" و"لا يمكن التعامل معه"، وصمت عرب إزاء الحصار، وأسهم بعضهم فيه بمقاطعتهم للرئيس الفلسطيني، ثم وصل الأمر إلى اغتياله من قبل إسرائيل بأيدٍ ربما كانت فلسطينية. وهنا أكرر المطالبة بكشف نتائج التحقيق الأمني والطبي أمام الرأي العام، فعرفات ليس ابن عائلته وحدها، إنه رمز الشعب الفلسطيني وحركات التحرر في العالم.

رأفت: حين رفض عرفات في كامب ديفيد مقترحات براك وكلينتون هدده الرئيس الأمريكي ومعاونوه. وبعد انهيار قمة كامب ديفيد، تعرض عرفات لحملة إعلامية ضارية تضافرت في شنها عليه إدارة كلينتون وحكومة إسرائيل مُحملين إياه مسؤولية الفشل. ومنذ ذلك الوقت، تتذرع حكومات إسرائيل المتعاقبة بأنه لا يوجد شريك فلسطيني مؤهل لعقد اتفاقية سلام نهائية مع إسرائيل. وجوهر سياسة حكومة إسرائيل الحالية أنها امتداد لسياسة حكومة شارون وحكومة براك من قبلها: التهرب من استحقاقات التسوية النهائية، والمراوغة لكسب الوقت لفرض مزيد من الأمر الواقع في القدس وبقية الضفة، توسيع الاستيطان لاستكمال بناء جدار الفصل، لإتمام عزل القدس، ولضم أكبر مساحة يمكن ضمها لإسرائيل من أرض الضفة.

ملوح: التسوية واقعة منذ بداية السعي إليها في مأزق عميق أثناء وجود عرفات وبعد رحيله. فشروط التسوية المتوازنة للصراع لم تتوفر وميزان القوى وظروف البحث عن تسوية في هدي اتفاقية أوسلو، هذه كلها لم تكن لتوفر تسوية، خصوصاً أن الأطماع التوسعية الإسرائيلية لم تتغير في الجوهر بل بقيت على حالها وازدادت شراسة: الاستيطان تضاعف في ظل أوسلو، وسيطرة إسرائيل على الأرض المحتلة وشعبها اشتدت، والبطش بأشكاله والعقوبات الفردية والجماعية كل هذا استشرى. لقد فرضت إسرائيل تطبيقا لاتفاقية أوسلو مستنداً لرؤيتها هي، ولمشروعها القائم على خلق حقائق الأمر

الواقع بقوة السلاح للحيلولة دون قيام دولة مستقلة للشعب الفلسطيني على أرضه وحرمانه من استعادة أهم مدنه وهي القدس أو من جعلها عاصمة لدولته. هذه الرؤية وهذا المشروع الإسرائيلي المستند إليها مستمران بغير توقف، مع المفاوضات وبدونها. وما نشهده على الأرض في غزة والضفة هو توظيف واستغلال للتطورات السلبية الجارية على الوضعين الفلسطيني والعربي، توظيف يستهدف استكمال مشروع فرض الأمر الواقع الإسرائيلي. لهذا، ليس ثمة تبدل لصالح تسوية قائمة على تنفيذ قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة. التبدل الحاصل سلبي، وهو يعمق مأزق التسوية. الشهيد الراحل لم يكن في أي وقت مسؤولاً عن هذا المأزق. وتجربة أيامنا هذه مع الرئيس محمود عباس تؤكد هذه الحقيقة.

حوراني: المؤكد أن ياسرعرفات كان ضحية قرار أمريكي إسرائيلي بتعطيل دوره في الحياة الوطنية الفلسطينية. والمؤكد أيضاً أن متخذي القرار على ما يملكونه من سطوة لم يتمكنوا من وقف تأثير الرجل وهو حي، حتى بعد أن حبسوه مدة طويلة في مقره واستخدموا نفوذهم لتقليص الاتصالات الدولية والعربية به. من هنا ينبع الاعتقاد بأنهم عمدوا إلى تصفيته. فهو اعتقاد يستند إلى أساس متين يسوغه. أما إلقاء التهم جزافاً والتشكيك بوجود أيد فلسطينية نفذت قرار التصفية فإنهما يُخرجان الحديث من سياق التحليل الرصين والبحث الجدي عن الحقيقة ويضعانه في خانة أخرى. وأياً ما كان عليه الأمر، مما لن يكشفه إلا تحقيق متحرر من أسر الخفة في إصدار الأحكام ومن أسر الحاجة لاستخدام تهم بعينها لخدمة أغراض آنية، فإن منجز عرفات، ما له وما عليه قد صار بين أيدينا بكامله ولم يعد باليد إضافة شيء عليه أو تنحية شيء منه، فكيف يُقوّم هذا المنجز، وما الذي بقي منه صالحاً وما الذي بطل؟

الصالحي: عرفات مؤسس رئيسٌ للثورة الفلسطينية المعاصرة، وإعادة بناء الشخصية الوطنية والكيان الوطني الفلسطيني، ومقرر حاسم التأثير في

سياسة الحركة الوطنية، وهو قائد شجاع وربما برغماتي أكثر من اللزوم، ناضل طيلة حياته دون راحة أو توقف ومات شهيداً. ما بقي صالحاً من نهجه هو أولوية الحفاظ على الشخصية الوطنية الفلسطينية وكيانها المعنوي م.ت.ف. وتطويرها. وما بطل هو الاستهانة بالنواقص والأخطاء، خصوصاً إذا تكونت حولها فئات مصالح من المنتفعين بوجود السلبيات العاملين على استشرائها، لأن هذه الفئات تتحول إلى قوة خطيرة مستعدة لتمزيق أي شيء.

قفيشة: نقل عرفات القضية الفلسطينية إلى العالمية، وحاول بكل قوة توحيد الجهود الفلسطينية بأطيافها كافة لصالح مشروع التحرر، نجح أو أخفق، لكنه لم يتوقف عن المحاولة. وبالرغم من المعارضة المتواترة لسياسته، حظي عرفات باحترام معارضيه فضلاً عن احترام مؤيديه، خصوصاً في السنوات الأخيرة. وبالرغم من تضاؤل التأييد العربي والدولي له في سنوات حياته الأخيرة، فقد ظفر بالتعويض بوقوف الشعب الفلسطيني وقواه كلها معه. ما بقي من نهج عرفات هو حرصه على وحدانيةِ تمثيل الشعب الفلسطيني وإبقاء جذوة الصراع مع الاحتلال متقدة إلى أن تتحقق دولةُ فلسطين المستقلة المتمتعة بسيادة كاملة وتكون القدس هي عاصمتها، أما ما بطل فهو وجود زعيم أوحد، فمن الصعب ملء المكان الذي شغر برحيله.

رأفت: بقيادته، استطاع الشعب الفلسطيني ومنظمته وضع النضال الفلسطيني لتحرير الوطن واستعادة الحقوق على جدول اهتمامات العالم كله. والعالم يقر الآن بحق شعبنا في الظفر بدولة مستقلة على أرض وطنه وفقاً لقرارت الأمم المتحدة. وسيبقى تراث عرفات الكفاحي هادياً لشعبنا وهو يواصل المسيرة، وسيبقى هو رمزاً خالداً لهذا الشعب وكفاحه الوطني. وفي صلب هذا التراث سيبقى الحفاظ على استقلالية القرار الوطني وإمساك الشعب بزمام قضيته وعدم التفريط بالحقوق الوطنية، وهو ما سيظل موضع فخر شعبنا. التمسك بالحقوق الوطنية هو أكثر ما سيبقى صالحاً من نهج عرفات، والمطلوب متابعة التمسك بها، خصوصاً في هذه الأيام التي يجري فيها الحديث حول إمكانية

استئناف المفاوضات لتناول مسائل الوضع النهائي. وأما ممارساته العملية إزاء المؤسسات فإنها جانب من نهج عرفات لابد من تبديله لصالح بناء مؤسسات حقيقية ذات صلاحيات، سواء في م.ت.ف. أو السلطة.

ملوح: قاد عرفات شعبه بما هو شعب موحد على طريق استعادة هيبته وكيانه وأرضه وحقوقه وحريته واستقلاله، وعمل لتوفير الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لكفاح هذا الشعب، وضمن الاعتراف العربي والدولي به وبممثله الشرعي والوحيد م.ت.ف. وفي معظم الأحيان، أحسن عرفات القيادة، ونجح في الاقتراب من الأهداف، بالرغم من العواصف والزعازع التي واجهتها المسيرة. وقد ضرب عرفات أمثولة يحتذى بها في الصمود أمام الضغوط والتهديدات والهجمات التي انصبت عليه، قبل كامب ديفيد وبعده، لم يرضخ حتى وهو يدرك أن ثباته سيكلفه حياته ذاتها. في الوجه الآخر، راهن على التسوية مع إسرائيل اعتقاداً منه بأنها جاهزة للتسوية ومستعدة للتسليم بعودة الأراضي التي احتلتها في العام 1967 إلى أصحابها، والموافقة على قيام دولة فلسطينية مستقلة.

حوراني: إضافة إلى ما نوهتم به، أود اجتذاب الانتباه إلى بند في نهج عرفات لم يجر التركيز عليه، وهو انهماكه في المفاوضات دون أن يستبعد كليا الحاجة إلى ممارسة الضغط على العدو الذي يفاوضه. لقد أخطأ عرفات أو أصاب في محاول تطبيق هذا البند، لكنه لم ينحِ الحاجة إلى الضغط حتى وهو في ذروة التبشير بمزايا التفاوض. كان عرفات في هذا ابناً وفياً لتقاليد حركات التحرر الوطني، الضغط والمطالبة بالتفاوض، والتفاوض دون الكف عن الضغط. سؤالي الأخير هو هذا: لماذا نشهد وَهَناً في الحرص على استبقاء ذكر ياسر عرفات بعد رحيله، وما الذي ينبغي عمله للاحتفاظ بذكره دائم الحضور كما يستحق؟

الصالحي: عرفات حاضرٌ رئيسي في المشهد الفلسطيني. لن أخوض في أسباب وَهَنِ الحرص على إدامة ذكره، الأفضل أن نعول على مؤسسة الشهيد عرفات

المنشأة حديثاً لكي تقوم بدور هام في هذا المجال، الدور الذي يفي الشهيد الراحل حقه، ويصون إرث التجربة الفلسطينية المعاصرة ويرصد إيجابياتها وسلبياتها ويوفر للجميع فرص الاستفادة من عبرها.

قفيشة: نستطيع أن نعمل الكثير. وأنصح بأن يجري العمل بمشاركة الجميع، السلطة، والفصائل، وأبناء الشعب، لأن ياسر عرفات كان للجميع. وعلينا أن نغتنم هذه الذكرى لندعو الفصائل جميعها خصوصاً "فتح" و"حماس" التي فقدت هي الأخرى قائدها الشيخ أحمد ياسين لتدخل فوراً في حوار يوصلنا إلى مخرج من النفق الفلسطيني المظلم.

رأفت: توجد في القيادة الفلسطينية أوساط تريد طي مرحلة الرئيس عرفات ومغادرة نهجه القائم على التمسك الحازم بالحقوق الوطنية. هذه الأوساط تعمل لطمس تراث القائد الراحل وتغييب ذكره. لكن، توجد في الوقت ذاته في القيادة الفلسطينية ذاتها أوساط كثيرة تتمسك بالتراث الكفاحي لأبي عمار. وقد أصدر الرئيس أبو مازن مرسوم تأسيس مؤسسة الرئيس الشهيد ياسر عرفات والتي ستتولى جمع تراثه ونشره والقيام بمشاريع تربوية وثقافية مستدامة في فلسطين.

ملوح: لا أعرف سببا مباشراً ومحدداً لتوهين الاهتمام بإدامة ذكر ياسر عرفات. الذي أعرفه ويعرفه الجميع أن الرجل قاد الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة خلال أربعة عقود متصلة، وأن القضية الوطنية شغلت في ظل قيادته مواقع بارزة على الصعد الإقليمية والعربية والدولية. إنني أحمل السؤال ذاته ومعه السؤال الكبير حول ما وصل إليه التحقيق حول استشهاده الذي أُثير حوله لغط كثير، وماذا عن تراثه ويومياته ومحاضر لقاءاته واجتماعاته..الخ. أسئلة مثيرة كثيرة تنتظر إجابات شافية. قد يجد الإنسان تفسيرات للقصور في إدامة ذكر عرفات، ولكن ليس تبريرات. وفي كل حال لا يوجد مبرر لهذا الوهن. لقد جرى التنويه بصدور مرسوم رئاسي بتأسيس مؤسسه الشهيد ياسر عرفات، إنها بداية، وآمل أن تتمكن المؤسسة من عمل اللازم لإبقاء ذكره

حاضراً على الدوام ودراسة تجربته وتقويم دوره وتقديم هذا للجميع.